جامعة ابن خلدون-تيارت
University Ibn Khaldoun of Tiaret

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
قسم علم النفس والفلسفة والأورطفونيا
Department of Psychology، Philosophy، and Speech Therapy

M

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني .ل.م.د
تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

فلسفة التربية بين ابن خلدون وأوغست كونت
دراسة نقدية في الأسس الفلسفية للتربية

إعداد:
■ عقبي كريمة

إشراف:
أ د. حجاج خليل

لجنة المناقشة

الأستاذ (ة)	الرتبة	الصفة
كرطالي نور الدين	محاضر ب	رئيسا
حجاج خليل	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
حمر العين زهور	محاضر أ	مناقشا

الموسم الجامعي: 2024/2023م

كلمة شكر

الحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه

الحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل، ولطف بنا في أشد الأوقات ضيقا، فله الحمد حتى يرضى وبعد الرضا وفي كل وقت وحين.

أما بعد :

من لم يشكر الناس لم يشكر الله

-أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الدكتور "**حجاج خليل**" لقبوله الإشراف على هذا العمل وعلى مرافقته لي طيلة هذه المدة بالنصائح والإرشادات،فلم يبخل علي يوما بجميل نصحه وغزير علمه جزاك الله عني ألف خير أستاذي.

-كما أتقدم بجزيل الشكر لكل أساتذة الفلسفة بجامعة ابن خلدون كل باسمه، خاصة الذين رافقوني في مشواري الجامعي بالنصائح والتوجيهات لا سيما في إنجازي لهذا البحث.

-كما أشكر والداي اللذان أفنوا عمرهما خدمة لي وكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد، وكل من له فضل علي.

إهداء

" "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"

الإسراء 24

إلى من رفع ربي مقامهما

وأورد في القران ذكرهما

وحث فيه على طاعتهما

إلى والدي نور حياتي

أهدي ثمرة جهدي

دون أن أنسي عائلتي وصديقاتي

وكل من ينتظر نجاحي

كريمة

مقدمة

مقدمة:

شغلت التربية حيز كبيرا من اهتمام الفلاسفة والعلماء منذ القدم، وذلك لما لها من أثر في تطوير شخصيات الأفراد ورقي المجتمعات عبر العصور، اعتبارا أن التربية خاصية إنسانية، بها يتميز الإنسان عن الحيوان، فمن خلالها يتم إرشاد سلوك الفرد وتقويمه بما يتماشى مع البيئة التي يعيش فيها، لأن الإنسان كائن اجتماعي لا نستطيع عزله عن محيطه.

ونظرا أن التربية ظاهرة اجتماعية فهي العامل الأساسي الذي يمكننا من إدماج الفرد داخل الكينونة الاجتماعية، فالإنسان بالفطرة لديه نزوع نحو حياة الجماعة، وذلك لما تقتضيه ضرورات الحياة الإنسانية.

ومن خلال تعامله مع محيطه الاجتماعي إنما يؤثر ويتأثر، وبهذا سيكتسب جملة من المعارف والعادات والتقاليد، وحتى الثقافة السائدة، وعليه لن يتوقف مفهوم التربية عند تطوير شخصية الفرد من خلال تعديل سلوكه، وتنمية قدراته العقلية والنفسية والجسمية، إنما سيتسع مفهومها ليشمل إكساب الفرد ثقافة محيطه ومعارفه حتى تستمر الحياة الاجتماعية فالتربية من أساسها أسلوب حياة.

ولطالما كانت التربية محل اهتمام الفلاسفة العرب والغرب منذ القدم، وكل منهم نظر إلى التربية اعتبارا لإيديولوجيته وفكره ...الخ. فالتربية في المجتمع الإسلامي ارتكزت على تعاليم الدين الإسلامي قبل كل شيء، بينما اتجهت التربية الغربية إلى الارتكاز على مبادئ وتعاليم الكنيسة، بالنسبة للطوائف المحافظة، أما بالنسبة لرواد الفكر الإلحادي فقد عملوا على عزلها عن الجانب الديني، وربطها بمختلف الجوانب وإقامتها على العديد من الأفكار كل حسب فكره وتوجهه، وبما أن ليس هناك مجتمع يخلوا من الفوضى الأخلاقية والتربوية، وتراجع هذه النظم سواءا في البيئة العربية أو الغربية بسبب العديد من الظروف الاجتماعية والسياسية وغيرها من الأسباب، فإن الحاجة إلى التربية تزداد من مجتمع إلى آخر لإصلاح نظم هذا الأخير.

لذا عمل العديد من الفلاسفة العرب والغرب على تسوية الوضع الاجتماعي القائم في عصرهم، من خلال عمليتي التربية والتعليم، بطرحهم الكثير من النظريات والآراء التربوية، التي من شأنها تحقيق عدة غايات لصالح الفرد والمجتمع، ومن بين الذين عملوا على تقديم نظريات

قيمة للنهوض بمجالي التربية والتعليم الفيلسوف العربي عبد الرحمن بن خلدون، والفيلسوف الفرنسي أوغست كونت.

لقد تناول ابن خلدون موضوع التربية من خلال تحديده لعوائق التحصيل العلمي لدى المتعلم بتطرقه لسلبيات التربية والتعليم الشائعة في زمانه، وسعى إلى تقديم قواعد تربوية تساعد المتعلم على تجاوز مساوئ التعليم القائمة آنذاك، وتمكنه من التعلم بطريقة صحيحة تساهم في بناء شخصيته وإدماجه داخل الكينونة الاجتماعية، اعتبارا أنه ربط التربية بالمجتمع نظرا لأنها تساهم في ازدهار الحضارة وتطورها.

أما أوغست كونت فتناول هو الآخر التربية من منظور إصلاحي، حيث عمل على تجاوز الأنظمة السابقة، وأسس للتربية وضعية تتماشى مع نزعته الفلسفية، حاول من خلال طرحه أن يتناول مختلف القضايا الاجتماعية من بينها التربية والتعليم، بطريقة علمية تمكن أفراد المجتمع من مواكبة التقدم الذي وصلت إليه المرحلة الوضعية، فقد قام إصلاحه التربوي على إصلاح أفراد المجتمع وإقامة نظام تعليم وضعي، يسير بالمجتمع وأفراده نحو التقدم، وهكذا يتبين لنا أن كل من الفيلسوفين حاولا تحسين وضع المجتمع من خلال عملية التربية.

الإشكالية:

لقد عمل كل من ابن خلدون وكونت على الاهتمام بالشأن التربوي، إذ أسس كل منهما طرحه على قواعد تربوية لتغيير الواقع التربوي في عصرهم، وللوقوف على فلسفتهما التربوية لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار طبيعة الدراسة التي تفرض علينا المقارنة بين الفيلسوفين لمعرفة نقاط الاتفاق والاختلاف في فلسفتهما التربوية واستنادا على هذا الطرح تتبلور إشكالية الدراسة المتمثلة في الأتي:

ما هي الأسس الفلسفية للتربية عند كل من ابن خلدون وكونت؟ وعلى أي أساس يمكننا المقارنة والمقاربة بين فلسفتهما التربوية؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي كالآتي:

1. ما هي أهم الأمور التي أقام عليها ابن خلدون فلسفته بصفة عامة؟
2. ما هي الدعائم الأساسية التي قامت عليها فلسفة أوغست كونت؟
3. فيما تمثلت الأمور التي اعتبرها ابن خلدون عائقا أمام تعليم المتعلم؟
4. كيف صنف كل من ابن خلدون وكونت العلوم؟
5. ما هي أسس التربية الدينامية عند أوغست كونت؟

خطة البحث:

اعتمادنا في انجازنا لهذا البحث على الخطة الآتية:

– مقدمة وأربع فصول، أحتوى كل فصل على ثلاثة مباحث إضافة إلى خاتمة.

– الفصل الأول: مدخل تمهيدي، المبحث الأول ضبط المفاهيم، أما المبحث الثاني فكان بعنوان ابن خلدون وفلسفته، والمبحث الثالث عنوانه أوغست كونت وفلسفته.

– الفصل الثاني هو فلسفة التربية عند ابن خلدون، عنونا المبحث الأول بالملكة التربوية عند ابن خلدون، والمبحث الثاني ابن خلدون ونقده لطرق التربية والتعليم السائدة في عصره، أما المبحث الثالث فكان بعنوان الأسس الفلسفية للتربية عند ابن خلدون.

– الفصل الثالث خصصناه لفلسفة التربية عند أوغست كونت، فكان المبحث الأول تحت عنوان تصنيف العلوم عند أوغست كونت، والمبحث الثاني بعنوان الأسس الفلسفية للتربية عند أوغست كونت، والمبحث الثالث عنوناه بالتربية الديناميكية عند أوغست كونت.

– الفصل الرابع فلسفة التربية بين ابن خلدون وأوغست كونت، احتوى هذا الفصل على أوجه الاختلاف وأوجه التشابه إضافة إلى الآراء النقدية التي وجهت لكلا الفيلسوفين، وأخيرا خاتمة.

أهمية الموضوع وأهداف الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

– يسعى هذا الموضوع للوقوف على أهم الأسس الفلسفية للتربية عند كل من ابن خلدون وكونت، وبالتالي سيُمكننا من معرفة مدى تأثير أفكار الفيلسوفين على الواقع الاجتماعي والتربوي في عصرهم.

– بإمكان القواعد التربوية التي قال بها الفيلسوفين أن تكون حلا للعديد من المشاكل التربوية في عصرنا هذا، خاصة أفكار ابن خلدون.

– وقد كان الهدف من دراستنا الوقوف على أهم القواعد التربوية للفيلسوفين بغية الاستفادة منها إضافة إلى تحديد أوجه الاختلاف والتشابه في الأسس التربوية لكل من ابن خلدون وكونت.

أسباب اختيار الموضوع :

كان لدينا العديد من الأسباب التي أدت إلى اختيارنا لهذا الموضوع تمثلت فيما يلي :

1- **الأسباب الذاتية:** الرغبة في الاطلاع على موضوع التربية لما له من أهمية، وكذا رغبتنا في التعرف على معالم الفكر الخلدوني، خاصة الأفكار التربوية للعلامة ابن خلدون.

2-الأسباب الموضوعية :

-التعرف على فكر الفيلسوفين بصفة عامة لإثراء معارفنا.

- الوقوف على أهم النظريات التربوية التي قدمها كل من ابن خلدون وكونت حتى يتسنى لنا التفريق بين ماهية التربية في بيئة إسلامية وبيئة غربية.

منهج الدراسة :

- اعتبارا أن المنهج هو السبيل الذي يتبعه الباحث للوصول إلى الحقيقة، اعتمدنا في معالجة الإشكالية المطروحة عدة مناهج تمثلت في: المنهج التحليلي، والمنهج المقارن، والمنهج النقدي.

- المنهج التحليلي: اعتمدنا عليه لتحليل القواعد التربوية التي طرحها كل من ابن خلدون وكونت.

- المنهج المقارن: من خلال المقارنة بين فلسفة التربية عند ابن خلدون وفلسفة كونت.

- المنهج النقدي: اعتمدنا عليه من خلال عرضنا للآراء النقدية التي وجهت للفيلسوفين في مجال التربية.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

- اعتمدنا في انجازنا لهذا البحث على مجموعة من المؤلفات نذكر منها:

- مقدمة ابن خلدون باعتبارها الأثر الذي أورد فيه الفيلسوف فلسفته التربوية، كما اعتمدنا على كتاب أوغست كونت Cœurs De Philosophie Positive، وكتاب DISCOURS SUR L'esprit positif.

- إضافة إلى العديد من المراجع من بينها: التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث لإدريس خضير، وكذا كتاب علم الاجتماع في عالم متغير لصالح مصطفى الفوال، وكتاب فلسفة أوغست كونت لليفي بريل، وكتاب أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الحديث لفاروق عبد المعطي، وكتاب كونت الفلسفة والعلوم لبيار ماشيري.

هذه بعض المؤلفات التي اعتمدنا عليها في هذا البحث إضافة إلى اعتمادنا على المعاجم وبعض المقالات، وقد ركزنا على المقدمة في عرض فلسفة التربية لابن خلدون كونها تضمنت كل أفكاره التربوية، مما ساعدنا على فهمها بوضوح.

الدراسات السابقة:

يعتبر الاطلاع على الدراسات السابقة موضوع في غاية الأهمية، وتكمن أهميته في التعرف على مختلف الآراء والإسهامات المطروحة حول الموضوع، لذا قمنا بالاطلاع على العديد من الدراسات بخصوص موضوعنا نذكر منها :

✓ **الدراسة الأولى:** رسالة رفعت إلى دائرة التربية في الجامعة الأمريكية في بيروت لاستكمال متطلبات لنيل درجة أستاذ علوم لصاحبتها نهى عارف الحسن بعنوان "التربية عند ابن خلدون"، سنة 1959 توصلت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها: أن ابن خلدون أكد على قانون التدرج وقال أن لا يخلط على المتعلم علمين، وأن لا يطيل المدرس الفواصل بين درس ودرس، كما أكد أن الشدة على المتعلم مضرة به، ركزت الدراسة على العديد من القواعد التربوية التي قال بها ابن خلدون، ونحن نريد تعميق البعض من هذه القواعد التي وردت في هذه الدراسة.

✓ **الدراسة الثانية:** رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، سنة 1991، من إعداد الطالبة عائشة علي روزي الخوتاني بعنوان "الأخلاق عند المدرسة الوضعية أوغست كونت ومدرسته دراسة نقدية على ضوء الإسلام"، توصلت الدراسة للعديد من النتائج منها:

– أن كونت قد فرق بين الأخلاق النظرية والعملية، وقد عمل على تجاوز الأخلاق بمنظورها القديم الذي كانت تتصف فيه بالتجريد، وحاول التأسيس لأخلاق تدرس ما هو كائن، وغيرها من النتائج الأخرى التي توصلت إليها الدراسة والتي تعطينا رؤية واسعة حول هذا الموضوع، لكن الدراسة لم تتعمق في ربط الأخلاق بالجانب الأسري الذي يعتبر المركز الأول لتأسيسها وتطويرها، وإن كانت هناك إشارات لكن لم يتم التعمق في هذه النقطة ونحن نريد التفصيل فيها بما يخدم موضوعنا.

✓**الدراسة الثالثة:** أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة من إعداد الطاهر مولف بعنوان "العقل الوضعي عند أوغست كونت"، تاريخ المناقشة في 18 جوان 2008 بجامعة منتوري قسنطينة، تحت إشراف الزواوي بغورة، توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نذكر منها:

– أن هدف كونت الإصلاحي لا يقوم على هدم العلوم والأخلاق، وإنما كان هدفه تغيير وجهة نظرها نحو التقدم.

– الوضعية كفلسفة إنسانية تتوجه نحو خدمة الإنسان.

– اهتمام كونت بالجانب الأخلاقي جعل فلسفته تتحول إلى ديانة.

– الفوضى السائدة في المجتمع تحتاج إلى مذهب جديد في نظر كونت وهو المذهب الوضعي.

ركزت هذه الدراسة على الجانب الإصلاحي لدى كونت من خلال حديثه عن تطور العقل والمعرفة واهتمامه بمختلف الجوانب التي من شأنها أن تساهم في بناء شخصية الفرد والمجتمع من بينها القيم الأخلاقية، ونحن بدورنا سنعمل على التطرق إلى بعض الأمور التي عالجتها الدراسة من بينها الأخلاق والعلوم بما يتماشى مع دراستنا.

✓**الدراسة الرابعة:** مذكرة لنيل شهادة الماجستير للطالبة ربيعة بالحاج بعنوان "ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون"، تاريخ مناقشة المذكرة كان في 2009/11/17، بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، أقامت الباحثة دراستها على الإشكالية الآتية :كيف تناول ابن خلدون القضايا التعليمية في المقدمة؟

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن ابن خلدون تطرق للعديد من النظريات اللغوية والتربوية قبل اكتشافها من قبل علماء الغرب، كما تطرقت كذلك إلى أن الشدة على المتعلم تجعله ينفر من التعلم، وأضافت الباحثة أن التربية مرتبطة بالمجتمع عند ابن خلدون، فركزت الدراسة هنا على العديد من النظريات، حتى يصلح تعليم المتعلم خاصة اللغوية وأهملت الأمور التي قال ابن خلدون أنها عائق أمام تحصيل المتعلم فلم يذكر منها إلى القليل، من بينها الشدة، لكن كان لابد من الوقوف على بقية الأمور، التي ندد العلامة بضرورة الابتعاد عنها حتى يصلح تعليم المتعلم.

صعوبات الدراسة :

– نظرا أنه ليس هناك بحث بدون صعوبات، واجهنا في انجازنا لهذا العمل جملة من الصعوبات نذكر منها:

– عدم توفر مؤلفات كونت باللغة العربية، مما أدى بنا إلى مواجهة مشكلة في الترجمة باعتبار أن هذه الأخيرة كانت في أغلب الأحيان بعيدة عن سياق النص الأصلي، مما جعلنا نستغرق وقت للوصول إلى أقرب معنى للنص الأصلي لكونت

– ندرة المراجع التي تناولت موضوع التربية عند كونت، صحيح أن هناك العديد من الدراسات التي أجريت حوله في الجانب السوسيولوجي، لكن بالنسبة لموضوع التربية عنده لم نجد المعلومات الكافية لإثراء بحثنا.

– كما أن الفارق الزمني بين الفيلسوفين ما يقارب الخمس قرون، وكما هو متعارف عليه أنه كلما تباعدت المدة الزمنية بين شخصيتين استعصت مسائل المقارنات، لهذا لم تكن المقارنة بين ابن خلدون وكونت بتلك السهولة التي تبدوا عليها، لكن بالرغم من هذا حاولنا الوقوف على أهم الأمور في هذا الشأن.

الفصل الأول:

مدخل تمهيدي

- المبحث الأول: ضبط المفاهيم
- المبحث الثاني: ابن خلدون وفلسفته
- المبحث الثالث: أوغست كونت وفلسفته

- لطالما وقعت مهمة تطوير المجتمعات منذ القدم على عاتق العلماء والفلاسفة، نظرا للفوضى التي تسود المجتمع في شتى المجالات، لذا يعتبر تنظيم المجتمع من أهم الأوليات التي ينبغي أن تشغل بال الفلاسفة، ومن بين الذين حاولوا دراسة المجتمع لإصلاحه الفيلسوف وعالم الاجتماع العربي عبد الرحمن بن خلدون، وكذا الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت، إذ قام كل منهما بتأسيس فلسفة تعمل على الحد من سيادة الأوضاع المزرية والبحث عن أسس يتم بها تجاوز الوضع القائم إلى ما هو أفضل وللوقوف على أهم الأسس التي أقاموا عليها فلسفتهما نتساءل: **ما هي أهم الأسس التي أقام عليها كل من ابن خلدون وكونت فلسفتهما؟**

المبحث الأول: ضبط المفاهيم

كما هو معروف أن لكل بحث مفاهيم أساسية يرتكز عليها، وكذا لكل فيلسوف مفاهيمه الخاصة به التي تميز فلسفته عن باقي الفلسفات، وهذه المفاهيم إنما هي الكلمات المفتاحية من خلالها يتم فهم فلسفة الفيلسوف أو البحث المنجز.

ولهذا من الضروري عند إنجاز أي بحث تحديد المفاهيم الأساسية التي ستتكرر فيه وضبطها لأنها خطوة هامة في تركيبته.

وفي بحثنا هذا الموسوم بفلسفة التربية بين ابن خلدون وأوغست كونت، سنحاول ضبط مجموعة من المفاهيم التي تعتبر الركيزة التي سيبنى عليها هذا البحث، وعليه نطرح الإشكال التالي: ما هي أهم المفاهيم المتداولة في هذا البحث؟.

- سنقوم في هذا المبحث بضبط مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالبحث:

1- التربية:

لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور "رَبا الشّيءَ يرْبُوا رُبوًّا زادَ ونَماَ وَأَرْبَيْتُهُ نَمَّيْتُهُ"،[1] وَوَرد فيهِ كذلك "وَرَبَّيْتُ فُلَانًا أُرَبِّيهِ تَربيةً وتَرَبَّيْتُهُ وَرَبَبْتُهُ وَربَّبْتُه بمعنى وَاحد"[2].

إذن التربية وفق هذا القول تعني التنمية، بمعنى تنمية قدرات الإنسان العقلية والروحية والجسدية

اصطلاحا:

التربية "تشير إلى أنواع النشاط التي تهدف إلى تنمية قدرات الفرد واتجاهاته وغيرها من أشكال السلوك ذات القيمة الايجابية في المجتمع الذي يعيش فيه، حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية في هذا المجتمع"،[3] وهكذا تكون التربية عبارة عن مختلف النشاطات التي من خلالها تتم تنمية قدرات الفرد والعمل على إدماجه داخل المنظومة الاجتماعية.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 6، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط1، د ت، ص 91.

[2] المرجع نفسه، ص93.

[3] فاروق عبده فليه –احمد عبد الفتاح زكي، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، د ط، 2004م، ص 87.

ويمكننا القول أن التربية خاصية إنسانية كونها عمل إيجابي يعمل على تنمية قدرات الفرد من جميع الجوانب، إضافة إلى ضبط تصرفاته والمساهمة في إعداده إعدادا سويا يمكّنه من العيش بطريقه صحيحة في المجتمع.

فعملية التربية لا تؤثر في الفرد فقط، بل حتى على محيطه الاجتماعي، لذا ينبغي الحرص على تربية الأفراد تربية سوية.

- مفهوم التربية عند نموذج عربي ونموذج غربي:

- عند أبي حامد الغزالي(1058-1111م):

لقد نظر الغزالي للتربية نظرة تراثية إسلامية، وهذا ما نلمسه في مطلع رسالته أيها الولد من خلال استشهاده بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

كما يدعو إلى تربية دينية وخلقية من خلال كتابه إحياء علوم الدين، إذ نجده يؤكد على أهمية زرع الفضائل الأخلاقية الحسنة في الطفل، وفي حديثه عن التربية يقول أن "معنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه".[1]

من خلال ما أشار إليه الغزالي في قوله هذا، فالتربية إذا تقوم على إصلاح الفرد من خلال استئصال كل ما هو فاسد بداخله حتى يستقيم، وهنا تكمن وظيفة المربي سواء الوالدين في الأسرة أو خارجها.

- عند إيمانويل كانط (1804/1724م):

تمثل التربية في نظر كانط الوصول بالإنسان إلى الكمال المطلق باعتبارها خاصية إنسانية، فهو يرى "أن التربية هي أن تنمي لدى الفرد كل نواحي الكمال والكمال هو التنمية المنسقة لكل القدرات الإنسانية.[2]

[1] أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط04، 2010م، ص128.

[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، التربية والمجتمع" دراسة في علم الاجتماع التربية"، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية دط، 2010، ص04.

يقول في كتابه: في التربية والإجابة عن سؤال ما التنوير؟ أن "الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يحتاج إلى تربية ونعني بالتربية العناية (أي الاهتمام بالطفل وتغذيته) والانضباط والتعليم جنبا إلى جنب مع التنشئة"[1].

وبهذا المعنى فالتربية حسب كانط تشمل كل من التعليم والتنشئة الاجتماعية والانضباط والعناية.

2- فلسفة التربية:

فلسفة التربية هي فرع من فروع الفلسفة التطبيقية، فهي "النشاط الفكري المنظم الذي يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وتوضيح القيم والأهداف التي ترنو إلى تحقيقها في سبيل ضبط وتوحيد جودة العملية التربوية."[2]

بمعنى أن فلسفة التربية هي تطبيق التفكير الفلسفي على عملية التربية، بغية تحليل مبادئها، وتمحيص قيمها وإيجاد الحلول لمشاكلها... إلخ.

3- الملكة:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور ما يلي: "الملكة ملكك"[3] كما يقال:" فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنع إلى مماليكه. وفي الحديث حسن الملكة نماء هو من ذلك"[4].

وجاء في موسوعة لالاند الفلسفية بأنها "مكنة أو حرية قيام بشيء ما"[5] فهي استطاعة لدى الفرد تمكنه من فعل عمل ما.

---

[1] ايمانويل كانط، في التربية وإجابة عن السؤال: ما التنوير؟، تر: جوزيف معلوف، دار الرافدين، العراق، ط1، 2022، ص21.

[2] عبد الكريم علي اليماني، فلسفه التربية، دار الشروق لنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2004، ص41.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مج 14، المرجع السابق، ص126.

[4] المرجع نفسه، ص126.

[5] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، مج1، تع: أحمد خليل أحمد، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان، ط 2008، 2008، ص404.

اصطلاحا:

لديها العديد من التعاريف حسب المجال التي ترد فيه، فتعريفها في الفلسفة غير التعريف الذي يعطى لها في علم النفس، لأننا غالبا ما نجدها لدى علماء النفس تعني الإرادة والفعالية...الخ، في حين أن تعريفها في الحقل الفلسفي يختلف عن ذلك.

– يعرفها الدكتور عبد المنعم الحنفي كالآتي: أنها "صفة راسخة في النفس وتحقيقها أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة".[1]

وهي بهذا صفة راسخة في النفس، ناتجة عن رسوخ فعل معين في الإنسان بفعل التكرار والممارسة.

- **الملكة عند ابن خلدون (1332- 1406م):**

يعرفها ابن خلدون بأنها "صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مره بعد أخرى حتى ترسخ صورته"[2]، وبهذا التعريف فهي عبارة عن رسوخ صفة في النفس جراء تكرار فعل معين.

4- التعليم:

لغة: من الناحية اللغوية "يرجع بنا اشتقاق التعليم إلى جذرين لاتينيين منفصلين ولكنهما غير متعارضين وهما (educare) بإيحاءاتها في(الإطلاق) أو (الرعاية) و(ducere) بإيحاءاتها في (التوجيه) و(الهداية).[3]

حسب هذا التعريف فمفهوم التعليم اتسع ليشمل كل من الرعاية والتوجيه، في حين أن الرعاية مرتبطة بالتربية غالبا.

---

[1] عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000م، ص 834.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمه ابن خلدون،راجعه وقدم له عبد الباري محمد الطاهر، تح: أحمد جاد، دار الغد الجديد القاهرة ط01، 2007م، ص 372.

[3] طوني بينيت وآخرون، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، مركز الدراسات الوحدة العربية،، بيروت ط01، 2010، ص202

اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية: "فالتعليم يعني الكيفية التي يحدث بها التعلم فهو جعل الآخر يتعلم بمساعدته على التعلم"[1]

إذن فالتعليم هو ذلك النشاط الذي يستهدف نقل المعرفة من المعلم إلى المتعلم بهدف إكساب المتعلم مجموعة من الخبرات والمعارف.

5- الوضعية:

- **لغة:** يعرف جميل صليبا مصطلح الوضعي في معجمه الفلسفي بأنه: "مرادف للحقيقي والتجريبي، ومقابل لتأملي والخيالي والوهمي"[2].

كما يدل حسب فلسفة كونت" على الواقعي أو الفعلي المستقل عن معنى الشرع الإلهي"[3].

وبالتالي فهذا المصطلح يدل على كل ما هو علمي وتجريبي وواقعي.

- **اصطلاحا:**

أما اصطلاحا نجد أن" الوضعية أو الإيجابية positivisme تيار واسع الانتشار في الفلسفة في القرن 19 والعشرين، وهي الفلسفة التي تقول أن المعرفة الحقيقية هي فقط المعرفة العلمية وأن هذه المعرفة يجب أن تتأتى من التأكيد الإيجابي للنظريات من خلال المنهج العلمي الصارم"[4].

وهكذا فالوضعية كتيار تنفي أي معرفة غير علمية، وتعتبر أن سبيل الوصول إلى المعرفة الحقيقية هو إتباع المنهج العلمي الصارم.

كما" يطلق عليها كونت اسم العقيدة الوضعية، وهي مذهب من يرى أن الفكر مناطه الواقع[5]."

---

[1] محسن علي عطية، أسس التربية الحديثة ونظم التعليم، المناهج للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ط01، 2010، ص192.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د ط 1982، ص 577.

[3] المرجع نفسه، ص577.

[4] مصطفى حسيبه، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ط01، 2009، ص 693.

[5] عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، المرجع السابق، ص 943.

فالوضعية هي اسم يدل على فلسفة كونت، التي لا تؤمن بالدين والميتافيزيقا، بل اهتمت بدراسة الواقع وقضاياه دراسة علمية.

6- علم الاجتماع:

يعرف علم الاجتماع بأنه:"دراسة الحياة الاجتماعية للبشر سواء بشكل مجموعات أو مجتمعات. وقد عرف أحيانا كدراسة التفاعلات الاجتماعية"،[1] بمعنى أنه يهتم بواقع حياة الأفراد داخل المجتمع والعلاقات القائمة فيما بينهم.

مفهومه عند بعض الرواد:

- عند ابن خلدون(1332- 1406م):

يعرفه ابن خلدون:" بالعلم الذي يدرس ما استطاع الإنسان انجازه في البيئة الحضارية من معالم المدينة والتراث الحضاري، وباقي الفنون الحياتية التي طورت المجتمع ونمته في ضروب ومجالات مختلفة"[2] هنا ربط بن خلدون بين علم الاجتماع والحضر واعتبر هذا العلم دراسة لانجاز الفرد في المجتمع الذي ينتمي إليه .

- عند ايميل دوركايم (1858-1917م):

- يعرفه دوركايم "بالموضوع الذي يدرس المجتمعات الإنسانية من ناحية نظمها ووظائفها ومستقبلها، وهو العلم الذي يدرس أصل وتطور المؤسسات الاجتماعية التي يبنى منها التركيب الاجتماعي"[3] أي أنه يدرس المجتمع من جميع جوانبه المختلفة.

- عند ماكس فيبر (1864- 1920م):

أما فيبر فيعرفه" بالعلم الذي يفهم ويفسر السلوك الاجتماعي"[4] بما في ذلك معاملات أفراد المجتمع وعلاقتهم...الخ، وما نلاحظه هنا أن جميع هذه التعاريف تشير إلى نفس المعنى.

7- السوسيولوجيا:

ارتبط هذا المفهوم بالفيلسوف الفرنسي أوغست كونت، لأنه أول من صاغ هذا المصطلح، لكنه طور على يد العديد من علماء الاجتماع بعده.

---

[1] محمد حامد خضر، المدخل إلى علم الاجتماع، دار البداية ناشرون وموزعون، الأردن، ط01، 2012، ص 12.

[2] إحسان محمد الحسن، مبادئ علم الاجتماع الحديث، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2009م، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 18.

[4] المرجع نفسه، ص 18.

تعني السوسيولوجيا" العلم الذي يختص بدراسة المجتمع الإنساني المتعلقة بالمؤسسات الاجتماعية والتغيير والطبقية والعائلة ومشكلات المجتمع".[1]

فالسوسيولوجيا حسب كونت تعني العلم الذي يدرس المجتمع من ناحية الاستقرار والتطور.

-مفهوم السوسيولوجيا عند ماكس فيبر(1864- 1920م):

تعني حسب ماكس فيبر" تحليل الفعل الاجتماعي المتجه نحو المعنى المقصود ذاتيا، أو بكلمة أخرى هي العلم الذي يريد أن يفهم الفعل الاجتماعي وأن يفسره سببيا من حيث مساره وتأثيراته"[2]، ومن هنا حسب فيبر فهو تقريبا ما ذهب إليه كونت في علمه هذا .

8- المنهج:

لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور ما يلي:" سبيل منهج: كنهج. ومنهج الطريق: وضحه والمنهاج: كالمنهج"[3]

وكذلك نجد أن"المنهج كلمة لاتينية الأصل تعني الطريقة التي ينتهجها الفرد حتى يصل إلى هدف معين."[4]

وهكذا يكون المنهج هو الطريق أو السبيل المتبع لبلوغ المراد.

---

[1] فراس عباس الليباتي، علم الاجتماع دراسة تحليلية للنشأة والتطور، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط01 2012، ص 13.

[2] ماكس فيبر، الأسس العقلانية والسيسيولوجية للموسيقى، تر: حسن صقر، المنظمة العربية للترجمة توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط01، 2013، ص17.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مج 14، المرجع السابق، ص 365.

[4] رشدي أحمد طعيمه وآخرون، المنهج المدرسي المعاصر (أسسه، بناؤه، تنظيماته، تطوره)، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان-الأردن، ط1، 2008، ص 15.

اصطلاحا:

أما اصطلاحا فيعرف بأنه:"الطريق المؤدي للكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته ليصل إلى نتيجة معلومة أسبابها"[1].فالمنهج خطوة مهمة يتبعها الباحث لإجراء دراسة معينة بهدف بلوغ المراد.

9- المجتمع

:لغة:

يعرف في اللغة: بأن "مجتمع موضع الاجتماع والالتقاء بالآخرين والجماعة من الناس"[2] وهو بهذا الوسط الذي يجمع الناس للعديد من الاعتبارات والروابط.

اصطلاحا :

أما اصطلاحا فهو:" ذلك الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه في شكل وحدات أو جماعات"[3]، أي أنه ذلك المجال الذي يجمع الأفراد وفق علاقات محددة تضمن التعايش الطبيعي بينهم

كانت هذه هي أهم المصطلحات التي لها علاقة بموضوع بحثنا والتي ستعمل على إزالة اللبس والغموض عن البحث.

[1] أسماء عبد المطلب بني يونس، دليل المبتدئ إلى المناهج العامة في البحث العلمي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن عمان، ط01، 2018، ص12.

[2] فاروق عبده فليه– أحمد عبد الفتاح زكي، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، مرجع سابق، ص 208.

[3] المرجع نفسه، ص 208.

المبحث الثاني: ابن خلدون وفلسفته

منذ القدم والإنسان يعيش ضمن جماعات بشرية يؤثر فيها ويتأثر بها، لأنه لا يستطيع العيش في معزل عن محيطه، لأن الإنسان مدني بطبعه، وذلك لأنه يحتاج من يشاركه في كل شيء، نظرا لأن الحياة الإنسانية في مختلف المجالات تتطلب التعاون والتشارك.

لذلك فالاجتماع الإنساني ضروري كما قال ابن خلدون، وهذا ما جعله يقيم علما جديد سماه علم العمران البشري أو الاجتماع الإنساني، وبالمفهوم الحديث علم الاجتماع، ولتعرف على حيثيات هذا العلم عند ابن خلدون وموضوعه وكذا منهجه نطرح الإشكال التالي: من هو ابن خلدون؟ وما هو موضوع العلم الذي أتى به؟ وهل يعتبر ابن خلدون المؤسس الأول لهذا العلم؟ وفيما تتمثل أهم إسهاماته السوسيولوجية؟

1- نبذة عن حياة ابن خلدون:

اسمه ونسبه:

اسمه الكامل "هو عبد الرحمن بن محمد بن مجمد بن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي، الإشبيلي، من ذرية عثمان أخي كريب المذكور في نبهاء ثوار الأندلس، وينسب من ولد نائل بن حجر".[1]

كما يلقب بالمالكي نسبة إلى المذهب المالكي وخاصة بعد تولي منصب قاضي قضاة المالكية.

فيلسوف وعالم اجتماع ومؤرخ، كما أسس للعديد من النظريات في مختلف المجالات من بينها السياسة والاقتصاد.

مولده ونشأته:

ولد بتونس "سنة 732هـ/ 1332م، ونشأ بها في بيت علم وفضل كبيرين، وقد بدت عليه منذ صغره علامات النجابة والذكاء وسرعة البديهة"[2]

وهذا ما جعل منه شخصية عظيمة خلدها التاريخ.

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص11.

[2] المصدر نفسه، ص11.

تعليمه:

لقد كان تعليم ابن خلدون موسوعيا فقد "حفظ ابن خلدون القرآن صغيرا، ثم قرأ على والده وعلى أكابر علماء تونس، ودرس في شغف النحو واللغة والفقه والحديث، وكذلك الشعر والمنطق والفلسفة والتوحيد والشريعة، وغير ذلك من العلوم"[1].

وفاته:

توفي سنة 808هـ/1406م بالقاهرة.

2- مؤلفات ابن خلدون:

لقد ترك ابن خلدون مؤلفا مهما، كتب له بهذا المؤلف الخلود والمتمثل في تاريخ ابن خلدون بعنوان: العبر والديوان المبتدأ والخبر في أيم العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

كتب لهذا الكتاب مقدمة تعتبر لوحدها كتابا "تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى اللغات المختلفة، وترجم لنفسه وأسرته ترجمة مطولة في آخر العبر ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه ورحلته غربا وشرقا"[2]

وأكثر ما اشتهر به ابن خلدون هو المقدمة والتي تعتبر الكتاب الأول لهذا التاريخ، وذلك لأنه ضم فيه مختلف العلوم والمعارف.

كما لديه مؤلفات أخرى من بينها "شرح البردة وكتاب في الحساب، ورسالة المنطق وشفاء السائل لتهذيب المسائل، كما أن له شعر".[3]

لكن أهم ما اشتهر به ابن خلدون مقدمته كما أشرنا والتي تحتوي على مختلف العلوم، إذ تطرق فيها كذلك إلى كل ما يخص التربية والتعليم.

3- فلسفة ابن خلدون:

لقد كان ابن خلدون عالما وفيلسوفا موسوعيا، لذا فالحديث عن فلسفته لا يمكننا أن نحصره في مبحث، نظرا لفكره الموسوعي اعتبارا أنه مؤسس فلسفة التاريخ وفلسفة الحضارة

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص12.

[3] المصدر نفسه، ص 13.

...الخ، لهذا سنكتفي بالحديث عن فلسفته الاجتماعية فهي الأقرب لموضوع بحثنا، ذلك لأن التربية ظاهرة اجتماعية، بالرغم من أننا نستطيع الوقوف على كل ما يخص الفكر الاجتماعي الخلدوني، لكن سنتطرق لأهم ما يرتبط بموضوع بحثنا.

ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع:

يعتبر ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع، وواضع أسسه ومنهجه، وقد أطلق على هذا العلم اسم العمران البشري أو الاجتماع الإنساني، كما بين ضرورة هذا العلم وعمل على تحديد مسائله ومواضيعه، وتتمثل هذه الأخيرة في كل ما يخص الحياة الاجتماعية وهذا ما نلمسه من خلال قوله:" وهذا الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لأهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والطلب: مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في إثبات النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع".[1]

وبهذا قد أكد ابن خلدون على أن الاجتماع الإنساني ضروري فالبشر يحتاجون إلى لتعاون والتشارك فيما بينهم، وذلك لأن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده، فالحياة الإنسانية تتطلب التعاون بين الناس لقضاء أمور حياتهم وتحصيل أرزاقهم.

علم الاجتماع علم مستقل عند ابن خلدون:

لقد كان ابن خلدون مدركا أنه يؤسس لعلم جديد مستقل بذاته عن بقية العلوم وفي هذا الصدد يقول: "كان هذا علم مستقل بنفسه فأنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني".[2]

وعليه قد أكد ابن خلدون على أمرين: أولهما أن علم الاجتماع علم مستقل بذاته وثانيهما أن موضوعه العمران البشري والاجتماع الإنساني.

وهذا العلم حسب ابن خلدون لم يتم التطرق إليه من قبل، لذا يعتبر هو مكتشف العلم ومؤسسه الأول ويدلل ابن خلدون على صحة هذا القول من خلال حديثه "وأعلم أن الكلام في

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 49.

[2] المصدر نفسه، ص 49.

هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص"[1]

فقد توصل ابن خلدون من خلال البحث والتقصي في تاريخ من سبقوه إلى اكتشاف هذا العلم.

وبالرغم من وجود إرهاصات لهذا العلم من العصر اليوناني وربما قبل ذلك العصر، إلا أن ابن خلدون رأى أنها مجرد إشارات متفرقة فقط وليس هناك من استوفى مسائله ويعبر عن هذا بالقول الآتي" وكذلك أيضا يقع إلينا القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخليقة لكنهم لم يستوفوه"[2]، بمعنى ليس من قال به كعلم اجتماع.

وقد تطرق ابن خلدون لهذه الآراء التي تخص الاجتماع الإنساني وأوردها في مقدمته والتي تشير إلى ضرورة الاجتماع لدى البشر.

كما أضاف ابن خلدون أن ما ذهب إليه هؤلاء "لا يكشف عن التحقيق قناعا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا إنما هو نقل وتركيب شبيه بالمواعظ وكأنه يحوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله".[3]

كما أكد في العديد من المواضع أنه مكتشف هذا العلم الجديد إذ يقول" ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما وأعثرنا على علم جعلنا سن بكره وجهينة خبره".[4].

فبالرغم من أن الإرهاصات الأولى لهذا العلم كانت قبل ابن خلدون بكثير، إلا أن ظهوره كعلم مستقل، كان مع العلامة عبد الرحمن ابن خلدون.

والسؤال المطروح هنا: لماذا ينسب الغرب اكتشاف وتأسيس علم الاجتماع لعلمائهم متناسين دور ابن خلدون في هذا؟

نسبة علم الاجتماع إلى الغرب:

لطالما كان العرب في عصر نهضتهم أصحاب علم وحضارة من خلال اكتشافاتهم العديدة على مستوى العلوم التي ساهمت بشكل كبير في تطور البحث العلمي، لعل أهمها ما

[1] المصدر نفسه، ص49.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص 50.

[3] المصدر نفسه، ص 51.

[4] المصدر نفسه، ص51.

توصل إليه ابن الهيثم والخوارزمي والبيروني وابن سينا وغيرهم، وجهودهم هذه إنما كانت الطريق الممهد للنهضة الأوروبية.

فقد استفاد الغرب من هذه الاكتشافات، لكن سرعان ما نسوا أهل الفضل ونسبوها لهم وهذا ما حدث مع ابن خلدون في تأسيسه لعلم الاجتماع.

عمل الغرب على نسبة علم الاجتماع لعلمائهم، بالرغم أن الكثير منهم قرأ لابن خلدون واستفاد من أرائه ويظهر ذلك جليا من خلال التشابه في النظريات الاجتماعية لبعض الفلاسفة الغرب مع النظرية الاجتماعية الخلدونية، فهذا إن دل يدل على اطلاعهم على أراء العلامة ابن خلدون.

فطالما اعتبروا أن التأسيس الفعلي لعلم الاجتماع كعلم يختص بدراسة الحياة الاجتماعية وكل ما يخص المجتمع بصفة عامة يرجع إلى كل من سان سيمون وأوغست كونت ودوركايم.

بالرغم من دوره الكبير في تأسيس هذا العلم إلا أنه لم يحصل إلا على "إجحاف متعمد سواء بالنسبة لدوره كمؤسس حقيقي لعلم الاجتماع، أو حتى بالنسبة لأحقيته لأن يكون عالما سوسيولوجيا على الإطلاق".[1]

لكن من الناحية الموضوعية فابن خلدون هو المؤسس الأول قبل هؤلاء الفلاسفة، فالمدة الزمنية التي تفصل بينهم وبين ابن خلدون ليست قصيرة، إذ نجد أن بينه وبين كونت مثلا ما يقارب الخمس قرون، إن كان قد تطرق لهذا العلم قبلهم، فيكف ينسب لمن أتى بعده بكل هذه المدة؟

لكن بالرغم من كل هذا إلا أننا لا ننفي نسب هذا العلم لكونت، لأنه في نهاية المطاف هو من أعطاه تسميته المتداولة حاليا (سوسيولوجيا)، لكن ما نريد توضيحه أن ابن خلدون سبق كونت في التأسيس لهذا العلم ووضع أسسه ومبادئه بما يقارب خمس قرون كما أشرنا، وبالتالي فهو المؤسس الأول لهذا العلم.

وبما أن ابن خلدون لم يترك إشكالا في هذا العلم لتختلف عليه الآراء، نجد بعض الدراسات المعاصرة ترى أنه حاليا يتم الأخذ بآراء ابن خلدون في مجال الدراسات الاجتماعية وهذا إن دل يدل على أنه استوفى مسائله وأصاب الهدف ولم يترك إشكالا في هذا الموضوع.

[1] صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع في عالم متغير، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1996، ص 137.

كما أن التغاضي عن دور ابن خلدون بسبب أنه لم يقل"أن ما أسسه هو علم الاجتماع"[1]، لكنه أشار غلى هذا العلم بعبارة أخرى قريبة لهذا وهي "العمران وكلمة العمران قريبة لغة ومضمونا من كلمة الاجتماع"[2]، وليس هذا فحسب إنما قد صرح باستقلالية هذا العلم في مقدمته بشكل واضح.

وبالتالي مما سبق ذكره فابن خلدون هو المؤسس الأول لعلم الاجتماع وواضع أسسه.

بعض الإسهامات السوسيولوجية لابن خلدون:

سنتطرق لبعض إسهامات العلامة ابن خلدون في مجال علم الاجتماع، نذكرها باختصار كالآتي:

- تأسيس ابن خلدون لعلمه الجديد لم يكن عبثا، وإنما لتحقيق هدف معين، إذ نجد أنه أسسه "ليتمكن عن طريقه المؤرخون من فهم الحوادث الماضية وتفسيرها من خلال الكشف عن قوانينها وأسبابها التي تدل على أن تلك الحوادث الماضية تتفق وطابع العمران البشري"[3]، وهذا راجع إلى تلك العلاقة المتينة التي تربط كل من التاريخ وعلم الاجتماع، لذا سعى ابن خلدون أن يوفر "مختلف سبل المعرفة التي تتيح للمؤرخين فهما أعمق لمختلف الظواهر التاريخية التي هم بصدد دراستها والكتابة عنها"[4]، فالتاريخ يعتبر خبرا عن الاجتماع الإنساني.

لطالما كان هدف ابن خلدون من علمه، هو معرفة كيفية تحقق المعرفة، إذ توصل إلى أن هذه الأخيرة "تتحقق عن طريق الاستقراء الفطري الذي هو في حقيقته استقراء علمي تنقصه التجارب المعملية ووسائل البحث الحديثة التي استعان ابن خلدون عوضا عنها بالحس واستخدام المنطق وقياس الذاهب بالحاضر على حد تعبيره".[5]

أشرنا سابقا أن علم الاجتماع عند ابن خلدون علم مستقل بذاته، لكن بالرغم من تأكيد ابن خلدون على هذا الأمر "إلا أنه حدد الصلات الضرورية المشتركة بينه وبين غيره من العلوم

[1] المرجع نفسه، ص 137.

[2] صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع في عالم متغير، مرجع سابق، ص137.

[3] المرجع نفسه، ص 138.

[4] المرجع نفسه، ص 138.

[5] المرجع نفسه، ص 138.

التي تشاركه بحث الظواهر المجتمعية"[1]، لذا نجده يؤكد على صلة علم الاجتماع بكل من علم النفس والتاريخ وغيرها من العلوم الأخرى.

مثلما نجد كونت يقول بتطور المجتمعات، ابن خلدون هو الآخر تطرق لهذا الأمر قبل كونت بزمن طويل إذ نجده" يؤمن بتطور المجتمعات ليس من منطلق إصلاحي ولكن من منطلق أن التغيير سمة المجتمع وقدره"[2]، وهنا نجده سباقا قبل كونت كما قلنا في عرضه لفكرة التغيير الذي يطرأ على المجتمع، وقد حدد الحالات "التي يتطور خلالها المجتمع وهي حالات...البداوة، الملك، الحضارة، والهرم".[3]

لقد رأى ابن خلدون أن الظواهر الاجتماعية تمتاز بصفة التشابك والتساند فيما بينها لأنها" تتبادل التأثير والتأثر مع غيرها، علاوة على أن الظواهر غير الاجتماعية لها قدرتها التأثيرية على المجتمع ولكن تبقى هذه القدرة محدودة ما لم تتعاون في ذلك مع الظواهر الاجتماعية".[4]

كانت هذه هي بعض الآراء السوسيولوجية لعالم الاجتماع ابن خلدون.

منهج ابن خلدون:

يتطلب البحث العلمي من الباحث أن يعتمد منهجا علميا صحيحا ليسير وفقه بغية بلوغ الحقيقة، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون من خلال تأكيده على أهمية المنهج لدى الباحث.

فمن خلال الاعتماد على المنهج العلمي، يتمكن الباحث من الوصول إلى معرفة صحيحة وموضوعية وبالتالي لن يقع في فخ النقل والتقليد، ذلك لأن الأمانة العلمية من أهم شروط البحث العلمي.

ويذهب ابن خلدون إلى تسمية أولئك اللذين لا يراعون الشروط الموضوعية في البحث العلمي، ويعتمدون على مجرد نقل كلام الغير دون الإشارة إلى أهله، بأنهم متطفلون على العلم، وهذا ما نفهمه من خلال قوله: "فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين سليل والتطفل على الفنون عريض

[1] المرجع نفسه، ص 140.

[2] صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص140.

[3] المرجع نفسه، ص 141.

[4] المرجع نفسه، ص 141.

وطويل ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل"[1]، لهذا ينبغي للباحث مراعاة شروط المنهج العلمي الصحيح للوصول إلى معرفة موضوعية.

أما الآن فسنتطرق إلى منهج ابن خلدون والذي قسمه ابن خلدون إلى قسمين:

القسم الأول: يختص بالقواعد الوقائية أي تلك التي "تجنب الباحث الوقوع في الخطأ"[2]، بمعنى ينبغي على الباحث تجنبها وإلا ستكون عائقا أمام بحثه.

القسم الثاني: يختص هذا القسم "بالأسس التي يعتمد عليها الباحث للوصول إلى اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية"[3]، أي ليقلق بما ينبغي الالتزام به لاكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

1- القواعد الوقائية:

الذهول: لابد للباحث أن يكون فطنا مستوعبا لموضوع دراسته حتى يتسنى له ملاحظة الظواهر الاجتماعية وتحديد ما يطرأ عليها من تغيرات ذلك لأن "كثيرا من الباحثين يقعون في الخطأ ويبتعدون عن المقاصد والأهداف بسبب غفلتهم وعدم تفطنهم للفرق الموجود بين الأحوال والأحداث وما طرأ عليها من تغيير وتطور"[4]، لذا على الباحث أن يحيط بالموضوع ويحدد هدفه ويقوم بإجراء دراسته وفقا لما يقتضيه بحثه.

النقل: لا ينبغي أن يكون الباحث مجرد ناقل فحسب، بل ينبغي أن يطبق آليات التفكير المنطقي السليم على كل ما يريد دراسته، لذا وجب عليه تمحيص الأفكار وتحليلها وكذا نقدها حتى يحصل المبتغى من تلك الدراسة "فالباحث الذي يعتمد على النقل يكون شبيه بالبقاء تحاكي كل ما تسمع أو كآلة التسجيل التي تنقل ما يقال أمامها بدون نظر".[5]

الثقة: ليس كل ما يعرض على أنه صحيح فهو كذلك، هناك الكثير من الأمور التي تنتقل مغلوطة سوءا عن قصد أو بدون قصد، فربما تم نقلها دون التحقق منها لذا "لا ينبغي للباحث أن يثق في كل خبر أو رأي مهما كان مصدره دون تأمله وعرضه على القواعد

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص16.

[2] إدريس، خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2003 ص 100.

[3] المرجع نفسه، ص100.

[4] المرجع نفسه، ص101.

[5] المرجع نفسه، ص 101.

الصحيحة جيدا"[1]، والتحقق منه وتحليله على وجه الصواب حتى يتسنى له تمييز الصحيح من الخاطئ، إضافة أنه لا بد من أخذ العلم عن مصادر موثوقة.

الجهل: ينبغي على الباحث الإحاطة بموضوع الدراسة من خلال البحث والتقصي عن كل ما يخص الموضوع وذلك إن "كان الباحث يجهل طبائع الأحوال وأسباب الحوادث وينظر إليها بمظهر خارجي سطحي [...] يكون بعيدا عن الصواب".[2]

لذا لابد أن يبتعد الباحث عن الدراسة السطحية ويغوص في أعماق موضوع دراسته حتى يتبين له خفاياه، بالإضافة إلى أن نظرته للدراسة ستتغير والنتائج هي الأخرى ستتغير بعد التعمق في الدراسة ومعرفة المزيد حول الموضوع المدروس.

الإعراض: يجب على الباحث التقيد بشروط البحث العلمي والتزام الموضوعية، حتى يحصل على نتائج موضوعية وصحيحة فالكثير "من الناس ميالون بطبيعتهم إلى أهوائهم والاستجابة لشهواتهم فيؤدي بهم ذلك إلى تزييف الحقائق ونقل المعلومات كاذبة"[3]، فالباحث ملزم بخلع عباءته الذاتية وارتداء ثوب الموضوعية حتى تصدق النتائج.

التشييع: وهنا ترتبط هذه النقطة بالتي سبقتها، وذلك لأن الشخص إن كان متمسكا برأي ما، أو لديه ميل إلى موضوع ما، يسعى لدفاع عنه إثباته وإن كان غير صحيحا، "فإذا كان الشخص متشيعا إلى رأي فأنه يقبل كل ما يوافق ميله لأول وهلة دون أن يمعن النظر في ذلك ودون أن يتناوله بالنقد".[4]

فعلى الباحث أن يكون حذرا من تنبي آراء ذاتية والدفاع عنها لمجرد أنها توافق ميوله ورغباته.

- إذن كانت هذه أهم القواعد التي ينبغي على الباحث الحذر منها والابتعاد عنها، فمتى ابتعد عنها الباحث نجحت دراسته واتصفت بالموضوعية، فما هي يا ترى القواعد التي تحقق للباحث دراسة موضوعية؟.

---

[1] المرجع نفسه، ص101.

[2] إدريس، خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث، المرجع السابق، ص 102.

[3] المرجع نفسه، ص102.

[4] المرجع نفسه، ص102.

2- القواعد العلمية:

وهذه القواعد لابد على الباحث أن يلتزم بها وهي كالتالي:

المعرفة العلمية: على الباحث أن يكون على ذلك القدر من المعرفة العلمية، والاطلاع على أحوال المجتمعات والقوانين السائدة، فيها حتى يتسنى له ملاحظة ما يجري في ذلك المجتمع، وليتمكن من المقارنة بين الظواهر الاجتماعية.

فمتى كان الباحث لديه "المقدرة العلمية والمعرفة بأحوال المجتمعات وبقوانين الطبيعة والحياة وعللها والإحاطة بطبائع العمران وما يطرأ على الحياة الاجتماعية من تغير وتبدل".[1] استطاع التوصل إلى نتائج موضوعية صحيحة حول الموضوع المدروس.

التعليل: حتى يحصل المبتغى من الدراسة ينبغي على الباحث إيجاد العلاقات التي تربط الظواهر الاجتماعية، لأن هذه الأخيرة كما ذكرنا سابقا تتميز بالتشابك والتداخل، لذا فتحليل هذه الظواهر الاجتماعية، إضافة أن هذا الأمر سيساهم في ربط الأسباب بالمسببات للأشياء والأحداث والمفاهيم".[2] وهذه القاعدة من أهم القواعد التي ينبغي الوقوف عليها في الدراسات الاجتماعية.

الملاحظة: والمقصود هنا ليس الملاحظة المخبرية وإنما ملاحظة الظواهر الاجتماعية إذ "تعتبر الملاحظة من القواعد الهامة في الدراسة الاجتماعية كما هو الشأن في دراسة العلوم الطبيعية غير أن الملاحظة في العلوم الإنسانية تختلف عن الملاحظة في العلوم الطبيعية نظرا لتحرك الأولى وثبوت الثانية وخضوعها للتجربة المخبرية".[3]

والهدف من الملاحظة في الدراسة الاجتماعية هو معرفة أسباب الظواهر والوقوف على القوانين التي تحكمها حتى يتسنى للباحث ملاحظة التغيير الحاصل في المجتمع ومقارنتة مع مجتمعات أخرى.

---

[1] إدريس، خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث، المرجع السابق،، ص 103.

[2] المرجع نفسه، ص104.

[3] المرجع نفسه، ص ص 104-105.

المقارنة: لعل السمة الأساسية التي تميز المجتمع هو خضوعه للتغيير المستمر بين الماضي والحاضر وما سيكون عليه مستقبلا، والوقوف على ظواهر كل مرحلة من هذه المراحل يعتمد على المقارنة لأنها من أهم القواعد التي ينبغي توفرها في الدراسة الاجتماعية "فالظواهر الاجتماعية في تغيير مستمر بيد أن الأحوال تختلف باختلاف الزمان والمكان عبر الأجيال والعصور"[1].

لهذا على الباحث أن يلتزم بهذه القاعدة، فالظاهرة الاجتماعية الواحدة قد تتغير من فترة إلى أخرى في نفس المجتمع، فيكف تكون من مجتمع إلى آخر؟.

التمحيص والنقد: نظرا أن الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات بالعقل، ينبغي له أن يستخدم عقله من خلال تحليله لمختلف الظواهر وتمحيص الأفكار التي يصادفها وبدراسته دراسة نقدية، وهذه الأمور ستعمل على إزالة الغموض عن مختلف لظواهر.

لذا ينبغي "على الباحث أن يعمل على تمحيص الأخبار التي ترد عليه والمعلومات التي يكتسبها بواسطة تحكيم العقل الذي هو معيار العلم ومصدر كل حكم وبذلك يستطيع أن يتخلص من الهوى ومن قبول الغرائب التي تتطلع النفس إلى قبولها ويكون بحثه موجها نحو الحقيقة العلمية".[2]

فمتى أخضع الباحث كل ما يرد عليه في الدراسة للنقد والتمحيص سيحصل على نتائج علمية سليمة، ذلك لأن كل الأحكام ستكون خاضعة لميزان العقل.

التطور: الميزة التي تميز الظواهر الاجتماعية عن الطبيعية هي ميزة التطور، فالظواهر الاجتماعية لا يمكن أن تبقى على حال واحد إنما تتغير وتتطور باستمرار عكس الظواهر الطبيعية "التي تخضع لقواعد ثابتة".[3]

لذا عند دراسة الظواهر الاجتماعية ينبغي "على الباحث أن يتفطن لهذا التغيير ويجعله في حسابه لكي لا يقع في الخطأ بقياسه الماضي على الحاضر أو العكس".[4]

---

[1] إدريس، خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث، المرجع السابق، ص 105.

[2] المرجع نفسه، ص 106.

[3] المرجع نفسه، ص 108.

[4] المرجع نفسه، ص108.

وهذه القاعدة ترتكز بدورها على الملاحظة والمقارنة، وبالتالي نستنتج أن القواعد العلمية التي قال بها ابن خلدون مرتبطة ببعضها البعض، فالواحدة تستند بدورها على الأخرى بمعنى أنها متشابكة كخاصية الظواهر الاجتماعية.

هذه أهم القواعد العلمية التي ينبغي على الباحث الالتزام بها حسب ابن خلدون، والتي تمكن الباحث من الحصول على معرفة علمية وموضوعية.

تطرقنا في هذا المبحث إلى بعض الأمور التي تخص الفكر الاجتماعي الخلدوني، لأننا لا نستطيع الحديث عن كل ما يخص هذا الأخير، ونلخص ما تطرقنا إليه فيما يلي:

- يعتبر الفيلسوف وعالم الاجتماع الإسلامي ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع وواضع أسسه ومنهجه.

- ينسب الغرب دائما علم الاجتماع لعلمائهم، متناسين دور ابن خلدون في تأسيسه لهذا العلم باعتباره كان سباقا في التطرق له قبل علماء الغرب بعدة قرون.

- هناك العديد من الإسهامات السوسيولوجية للعلامة ابن خلدون نذكر منها (أن تأسيسه لعلم الاجتماع كان خدمة للمؤرخين حتى يتمكنوا من إجراء دراساتهم بشكل موضوعي، سعى ابن خلدون من خلال علمه الوصول إلى كيفية تحقق المعرفة، بالرغم من إقرار ابن خلدون أن علم الاجتماع علم مستقل بذاته إلا أن هذا لم يمنعه من تحديد العلاقات القائمة بين هذا العلم وباقي العلوم المساعدة له في دراسة الظواهر الاجتماعية...الخ) وغيرها من الأمور الأخرى.

وأخيرا تطرقنا إلى منهج ابن خلدون لدراسة الظواهر الاجتماعية والذي قسمه إلى قسمين: قسم خاص بالقواعد الوقائية التي ينبغي على الباحث تجنبها حتى يكون في مأمن من الوقوع في الخطأ وفخ التقليد، وهي كالآتي (الذهول، النقل، الثقة، الجهل، الإعراض، التشيع).

أما عن القسم الثاني فهو خاص بالقواعد العلمية أي تلك التي ينبغي على الباحث الالتزام بها حتى يحصل على معرفة موضوعية وصحيحة في دراسته، وتمثلت هذه القواعد فيما يلي: (المعرفة، العلمية، التعليل، الملاحظة، المقارنة، التمحيص والنقد، التطور).

إذن كانت هذه أهم الأمور التي تطرقنا إليها في هذا المبحث.

المبحث الثالث: أوغست كونت وفلسفته.

نظرا للفوضى التي كانت سائدة في فرنسا خلال القرن 19، الناتجة عن الثورة الفرنسية وغيرها من الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية.... إلخ، حاول العديد من الفلاسفة إيجاد حلول لهذه الفوضى لتنظيم المجتمع.

ويعتبر أوغست كونت واحدا من الذين حاولوا تغيير الواقع الاجتماعي والنهوض بالمجتمع نحو التقدم عن طريق تنظيم الفوضى العقلية والأخلاقية، وذلك بتأسيس فلسفة جديدة وعلم جديد يعملان على تسوية الأوضاع القائمة، فحسبه أن الطرق التي سار عليها المصلحون في عصره لم تصلح المجتمع، والحل الوحيد لهذه الفوضى هي الفلسفة التي أتى بها، ولتعرف على حيثياتها نتساءل: **من هو أوغست كونت؟ وما هي الفلسفة التي نادى بها وعلى أي أساس تقوم؟**

1- نبذة عن حياة أوغست كونت:

فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ولد سنة 1798 "بمونبلييه من أسرة شديدة التعلق بالكاثوليكية والملكية"[1] عاش بأسرة يسودها الاضطراب وذلك من خلال معانات أفرادها مع المرض، فقد أصيبت أخته بلوثة عقلية المرض الذي أصيب به هو الأخر وخضع للعلاج في مستشفى الأمراض العقلية بسببه، حمل كونت كرها شديدا لعائلته كما أعلن كفره[2]، أما عن تعليمه فقد كان من خلال التحاقه "بمدرسة الفنون التطبيقية، وكانت ارقي الكليات الجامعية ومركز إشعاع حضاري وعلمي، ولكنه فصل بعد سنتين لتزعمه حركة عصيان"[3].

عمل سكرتيرا لدى سان سيمون من 1817 "فكان من المتشيعين له واستمر لديه سبعة سنوات حاسمة انطبع فيها بالكثير من أفكاره"[4]، لكن لم يدم هذا الارتباط أكثر من هذه المدة فقد انفصل كونت عن سان سيمون فيما بعد لعدة أسباب.

[1] عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، المرجع السابق، ص1132.

[2] المرجع نفسه، ص1132.

[3] المرجع نفسه، ص1132.

[4] المرجع نفسه، ص1132.

أسس كونت الفلسفة الوضعية واعتبرها بديلا عن الفلسفات السابقة، إذ قال بأهميتها في تنظيم الفوضى السائدة على أساس علمي. يعتبر أهم مؤلف له دروس في الفلسفة الوضعية حيث كان يقوم بإلقاء هذه الدروس وقد لقيت إقبالا كبيرا، لكن بعدما أصيب بمرضه توقف عن إلقاء هذه الدروس وبعد تعافيه مجددا عاد لإلقائها، لكنها لم تلقى ذلك الاهتمام الذي كان لها من قبل ونظرا لسوء ظروفه المعيشية، قام جون ستيوارت ميل بالترويج لأعماله حتى يتمكن من تحسين ظروفه عن طريق ما يجنيه من تقديم هذه الدروس.[1]

توفي كونت سنة 1857 بفرنسا.

2-أهم مؤلفاته: لديه العديد من المؤلفات نذكر منها:

✓كتاب "دروس في الفلسفة الوضعية cœurs de philosophie positive (1832/1842م) عبارة عن ستة مجلدات.

✓كتاب "مشروع الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع prospectus des travaux scientifiques nécessaires pour réorganiser la société 1882"[2]

✓كتاب "مذهب في السياسة الوضعية 1851/1854 système de politique positive"[3]

✓كتاب "التعليم الديني الوضعي .1582 catéchisme positiviste"[4]

3-فلسفة أوغست كونت:

يعتبر الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت من أبرز الفلاسفة الذين حاولوا تغيير الواقع الاجتماعي بالفترة الحديثة، فهو من أهم الذين درسوا الاجتماع وكل ما يرتبط بهذا الجانب، وهذا ما يتلخص في علمه الجديد وفلسفته الايجابية.

تعتبر فلسفة كونت نقدا للفلسفات التقليدية خاصة الميتافيزيقية كما كانت بالنسبة له الحل الوحيد للفوضى العقلية السائدة آنذاك والناتجة عن "تشيع المفكرين بين الأسلوبين متناقضين تماما، أحدهما وضعي يستعمل عند التفكير والبحث في الظواهر الكونية والبيولوجية والطبيعية

[1] أنظر مقدمة كتاب فلسفة أوغست كونت لليفي بريل

[2] عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، المرجع السابق، ص1132.

[3] المرجع نفسه، ص1133.

[4] المرجع نفسه، ص1133.

وثانيهما ميتافيزيقي ديني ينتهجه المفكرون عند دراسة الظواهر التي تتعلق بالمجتمع والإنسان"[1].

ولهذا رأى كونت أنه من الضروري إقامة فلسفة جديدة تقوم على أساس علمي للقضاء على الفوضى العقلية السائدة والمتمثلة في فلسفته الوضعية، كما عمل على تأسيس علم جديد لدراسة المجتمع بطريقة علمية كذلك وهو علم الاجتماع وفيما يلي سنتعرف على الأسس التي أقام عليها كونت فلسفته الوضعية.

الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت:

ظهرت الفلسفة الوضعية لكونت في القرن التاسع عشر في فرنسا، تعتبر إحدى فلسفات العلوم، التي ترى أن المعرفة العلمية هي المعرفة الوحيدة التي ينبغي أن يعتمد عليها الإنسان وتستبعد كل المعارف القائمة على أسس لاهوتية أو ميتافيزيقية.

فقد اعتبرت ثورة على النظام الكنسي الذي كان سائدا كما كانت تجاوزا للفلسفات التقليدية من خلال اتخاذها للعلم أساسا لدراسة الواقع، وهذا ما جعلها فلسفة العلم الرسمية في فرنسا آنذاك.

وقد قامت هذه الفلسفة عند كونت على دعامتين هما: قانون الحالات الثلاث وتصنيف العلوم.

1-قانون الحالات الثلاث: يرجع ظهور هذا القانون إلى القرن الثامن عشر على يد كل من "تيرجو وكوندرسيه والدكتور ييردان"[2]، إلا أن كونت قال إنه هو مكتشف هذا القانون وقوله هذا ليس من منطلق نفيه لاستخلاص هؤلاء لهذا القانون، وإنما من منطلق "أن أحدا من هؤلاء لم يلمح القيمة العلمية لهذا القانون. فهناك فارق في الواقع بين مجرد استخلاص هذا القانون من الظواهر وبين إدراك أهميته الرئيسية والتعرف فيه على القانون الأساسي الذي يسيطر على تطور العام للإنسانية"[3]

[1] صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص153.

[2] ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، تر: محمود قاسم- محمود بدوي، مكتبة الانجلومصرية، د ط، د ت. مصر ص ص 34-35.

[3] ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، المرجع السابق، ص35.

وهنا كونت هو الذي أدرك أهمية هذا القانون المتمثلة في معرفة القانون الأساسي الذي تسير عليه الإنسانية في تطورها، وفي حديثه عن هذا القانون، قال بأن الفكر البشري يمر بثلاث مراحل وهي المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الوضعية، وفيما يلي سنتعرف على خصائص كل مرحلة من المراحل.

- **المرحلة اللاهوتية أو الدينية:** هذه المرحلة مرت بها الإنسانية بداياتها الأولى، حيث كان العقل البشري يفسر الظواهر التي تحدث من حوله بإرجاعها إلى قوى خفية من أرواح وآلهة.

ولا تقصد باللاهوتية "دراسة الإلهيات أو العقائد وإنما تعني في مفهوم كونت منهجا طريقة أو لتفسير الظواهر الاجتماعية" من خلال ردها إلى قوى خفية كما أشرنا.

وبما أن إنسان هذه المرحلة كان يرجع حدوث الظواهر إلى الآلهة التي يعبدها، كان يعتقد أنه عندما "تهب العاصفة فإن الآلهة تتصارع، وعندما يثور بركان لو يفيض نهر أو يعصف ريح أو يشب حريق أو يقع زلزال فهذا معناه أن الآلهة غضبى وهكذا"[1].

فقد كان تفسير الإنسان في هذه المرحلة للظواهر أسطوريا وخياليا وبعيدا كل البعد عن الواقع "ولم يكن هناك أدنى اعتراف للحتمية التجريبية أو العلمية، فالقانون الوحيد هو الصدفة فقط، هذا زمن المعتقدات السحرية، الفتشية الأرواح، الأديان عالم يتجه إلى ما هو ابعد من الواقع (أو إلى الآخرة نحو عبادة الأسلاف، عالم حيث الموتى يحكمون الأحياء".[2]

والمرحلة اللاهوتية بدورها تنقسم إلى ثلاث مراحل وهي: الصنمية، الألوهية (تعدد الآلهة) التوحيد (وحدانية الإله).

[1] ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، المرجع السابق، ص157.

[2] حسام الدين فياض، أوغست كونت، مؤسس علم الاجتماع الوضعي "انك تدرس لكي تضبط"، مجلة الثقافة الجديدة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب- جامعة ماردين ارتوقلو – حلب سابقا، العدد419-420، 2021، ص111.

-المرحلة الميتافيزيقية:

الحديث عن الميتافيزيقا هنا لم يكن بالمفهوم الشائع المقصود به "البحث في أصل الوجود أو غير ذلك من القضايا الفلسفية المتعلقة بأصل الأنواع وما إليه، ولكن قصد بها كونت طريقة التفكير المرتكزة على الفروض المجردة لتفسير مختلف الظواهر.[1]

وتعتبر هذه المرحلة فترة انتقالية من اللاهوتية إلى الوضعية، حيث تغير تفكير الإنسان هنا، فبدلا من إرجاعه حدوث الظواهر إلى الآلهة في المرحلة اللاهوتية، أرجعها هنا "لأسباب تعود تلك الظواهر نفسها، أو بمعنى أخر فان السبب أو علة ما يحدث من تغيرات مجتمعية تحيط بذلك الإنسان، إنما تعود إلى طبيعة الأشياء وليس الأسباب أو قوى خارجية، وهكذا حلت الطبيعة محل الإله في تفسير وتعليل الظواهر المحيطة بالإنسان"[2]. وبهذا ستكون هذه المرحلة أقرب إلى الوضعية من المرحلة اللاهوتية.

-المرحلة الوضعية أو العلمية:

هنا انتقل الإنسان من تفسير الظواهر بإرجاعها إلى قوة خفية، وكذا من التجريد وبلغ ما يكفيه من الوعي العلمي الذي يمكنه من اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر. استطاع العقل البشري في هذه المرحلة أن يعي حقيقتين: الأولى: "أن انتظام الظواهر لا يمكن أن تبرره المعجزات أو تفسره رغبات الآلهة"[3] أما الحقيقة الثانية هي: "أنه ليس بمقدور الإنسان أن يصل إلى تفسيرات مطلقة خلال بحثه عن أصل الأشياء وغايتها"[4].

وبعد إدراك العقل لهذه الحقائق "أصبح التجريب أو التفسير منهج البحث العلمي الحقيقي ثم الاعتماد على المعرفة الحسية العينية، وتكرار الاختبارات التجريبية، وربط المتغيرات المستقلة بالمتغيرات التابعة ربطا سببيا، في ضوء مبدأ الحتمية أو الجبرية العلمية"[5]. فهذه هي خصائص هذه المرحلة، وتعتبر هذه الأخيرة أرقى مرحلة تسير إليها البشرية في نظر كونت، لأن الوصول

---

[1] صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص157.

[2] المرجع نفسه، ص157.

[3] المرجع نفسه، ص158.

[4] المرجع نفسه، ص158.

[5] حسام الدين فياض، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الوضعي "انك تدرس لكي تضبط، المرجع السابق، ص-ص 111-112.

إلى هذه المرحلة الإيجابية ساهم في "التفكيك التدريجي للنظام اللاهوتي الذي أصبح في النهاية رجعيا"[1]

وتكمن أهمية هذه المرحلة بالنسبة لكونت باعتبارها " من المقدمات الضرورية تقود أخيرا ذكائنا المتحرر تدريجيا إلى حالته النهائية من التوجه العقلاني الإيجابي، الذي يجب هنا أن يميزه بطريقة أكثر خصوصية من الحالتين الأوليتين"[2]، ويقصد كونت هنا الحالة اللاهوتية والحالة الميتافيزيقية، إذ يؤكد على ضرورة تجاوزها بالوصول إلى المرحلة الوضعية والتي فيها تأكد الإنسان من " عجز التفسيرات الغامضة والتعسفية المميزة للفلسفة الأولية، إما اللاهوتية أو الميتافيزيقية يتخلى العقل البشري الآن عن البحث المطلق الذي كان يتناسب فقط مع طفولته ويحدد جهوده في المجال الذي يتقدم بسرعة من ذلك الحين، من الملاحظة المتاحة، التي تعتبر الأساس الوحيد الممكن للمعارف حقا قابلة للوصول، والتي تكون مناسبة بحكمة لاحتياجاتنا الحقيقية"[3]، لأن المرحلة الوضعية الأنسب إلى متطلبات العصر الحديث.

2- تصنيف العلوم:

يعتبر تصنيف العلوم الركيزة الثانية التي أقام عليها كونت فلسفته بعد قانون الحالات الثلاث، كما يعتبر تكملة لهذا الأخير. لقد قسم كونت العلوم إلى صنفين: صنف عملي وآخر نظري، وتصنيفه للعلوم اشتمل فقط على العلوم النظرية المجردة والتي سماها العلوم الأساسية.[4]

والهدف من تصنيفه للعلوم هو دراسة " رقي التفكير الوضعي من خلال الأنواع المتتابعة للظواهر"[5]. وقد رأى كونت أن بقية العلوم التي لم تدخل في تصنيفه أي العلوم التطبيقية أو العملية "تتلقى مبادئها من العلوم النظرية المجردة"[6]. وتقدم هذه العلوم في نظر كونت إنما هو "دليل على المجهود الخاص الذي بذله الذكاء الإنساني"[7].

---

[1] Augeuste Comte , Discours Sur L'esprit Positif, Société Positif Internationale, Paris, 1923, P17.
[2] Ibid, P18
[3] Ibid, P18

[4] ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، المرجع السابق، ص 49-50.

[5] المرجع نفسه، ص50.

[6] المرجع نفسه، ص50.

[7] المرجع نفسه، ص50.

وقد اتبع أوغست كونت في تصنيفه للعلوم الأساسية المنهج الوضعي. واعتبر أن العلوم الأساسية علوم وضعية فهي بذلك قد أقلعت عن "السعي وراء الحقيقة المطلقة لكي تدرس الحقيقة النسبية، وعن البحث عن الأسباب من اجل معرفة القوانين"[1].

وقد اعتمد تصنيفه على نسبة التعميم والتعقيد، فصنفها نزولا حسب درجة تعميمها وصعودا حسب درجة تعقيدها، لهذا يبدأ الرياضيات كأكثر العلوم في درجة تعميمها وينتهي بعلم الاجتماع كأقل العلوم تعميما، وصعودا سيكون علم الاجتماع الأكثر تعقيدا وتقل نسبة التعقيد وصولا إلى الرياضيات.

هذه نظرة عامة فيما يخص تصنيف كونت للعلوم ولاحقا سنتطرق إلى ترتيبه للعلوم في السلم الموسوعي بالتفصيل.

3- علم الاجتماع:

تعود بوادر التفكير الاجتماعي إلى العصر اليوناني وربما قبله كما أشرنا سابقا ويعتبر المؤسس الحقيقي لهذا العلم هو العلامة عبد الرحمن ابن خلدون فقد كان سباقا قبل كونت في تطرقه لعلم الاجتماع، وحديثنا عن هذا الأخير هنا ليست للفصل في مسألة بداية تأسيسية، ما نريده من الحديث عن علم الاجتماع عند كونت، التعرف على موضوع هذا العلم عند هذا الأخير، معرفة أهميته باعتباره "نقطة انتهاء أو نقطة بدء لمذهب أوغست كونت"[2].

✓يعتبر هذا العلم بالنسبة لكونت علم دراسة المجتمع، وقد عرفه بأنه "العلم الذي يتخذ له موضوعا هو ملاحظة الظواهر العقلية والأخلاقية التي بها تتكون الجماعات البشرية وترقى"[3] وقد أطلق عليه اسم "الفيزياء الاجتماعية sociale physique، أو علم الاجتماع الطبيعي ليدل على منهجه الاستقرائي، وليميز بينه وبين علم السياسة"[4].

والسبب الأساسي لتأسيسه لعلم الاجتماع هو الإصلاح الاجتماعي، فقد رأى أن الفوضى السائدة في المجتمع آنذاك والأوضاع المزرية التي عاشتها فرنسا بعد الثورة الفرنسية ومختلف

[1] ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، المرجع السابق، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص34.

[3] فاروق عبد المعطي، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1993، ص09.

[4] المرجع نفسه، ص09.

الظروف السياسية والاقتصادية الاجتماعية التي سادت في المجتمع الفرنسي، وتتطلب إنشاء علم ودراسة ظواهر المجتمع وهو علم الاجتماع.

- كما يرى كونت هو الأخر بأن علم الاجتماع هو علم مستقل بذاته يختص بدراسة "الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية"[1]

- أما عن تصنيفه لهذا العلم في السلم الموسوعي للعلوم فقد كان آخر العلوم الأساسية وذلك اعتبارا لنسبة التعميم والتعقيد فيه، كما أشرنا سابقا، فهو أقل العلوم تعميما بما أنه يختص بدراسة البشر فقط وأكثرها تعقيدا وتشابكا لتعقيد ظواهره، وبهذا يكون علم الاجتماع عند كونت "أسمى درجة يصل إليها التفكير الوضعي في رقيه"[2].

- أما عن موضوع علم الاجتماع عند كونت يتمثل في قسمين من الدراسة بالنسبة لها صحيح أنه لا يفصل بينهما، لكن كل قسم حسبه يدرس جانب محدد من المجتمع.

- القسم الأول"مورفولوجيا المجتمع التي أعطاها كونت اسم الستاتيك statics ،وثانيها تلك القضايا المهتمة بحركات المجتمع نحو غايات جديدة نتيجة للتغير الذي يصيب الأفكار والنظم والتي أعطاها كونت اسم الديناميك dynamics"[3] بمعنى أن الاستيتيكا الاجتماعية تدرس المجتمع في حالة استقراره، أما الديناميكا الاجتماعية فتدرسه من ناحية التغير والحركة.

- **منهج أوغست كونت:**

يتلخص منهج كونت في قواعد المنهج العلمي الآتي:

- **الملاحظة:** تعتبر خطوة مهمة وصعبة في دراسة الظواهر الاجتماعية وتكمن صعوبتها في تحقيق الموضوعية، إذ ينبغي على الباحث ملاحظة الظواهر على أنها ظواهر خارجة عن ذاته "حتى يتمكن من الوصول إلى نتائج اقرب إلى حقائق الأمور، ويرى كونت في هذا الشأن أن الملاحظة تأتي نتائجها إذا وجهت بنظرية".[4]

[1] فاروق عبد المعطي، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الحديث، المرجع السابق، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص15.

[4] نذير زريبي، الوجيز في علم الاجتماع (نظريات اجتماعية)، منشورات ليجوند، د ب، د ط، 2013، ص55.

- **التجربة:** ليس المقصود بها التجربة المخبرية التي تجرى في العلوم الطبيعية وإنما نعني بها التجربة الاجتماعية، والمقصود بها عند كونت" أنه يمكن مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في شيء واحد".[1]

- **المنهج المقارن:** وتقوم هذه الخطوة حسب كونت على مقارنة المجتمعات بمعنى "أن المقارنة الاجتماعية بمعناها الصحيح تقوم على مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على أوجه الشبه وأوجه التباين".[2]

- **المنهج التاريخي:** يمثل هذا المنهج في نظر أوغست كونت "ذلك المنهج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي الحتمي للمجتمعات البشرية"[3]، لان المجتمعات في نظره خاضعة للتطور فهي تنتقل من مرحلة إلى أخرى.

هذه هي أهم خطوات المنهج العلمي عند أوغست كونت.

تطرقنا في هذا المبحث لبعض النقاط التي أقام عليها كونت فلسفته الوضعية نلخصها في النقاط الآتية:

-جاءت الفلسفة الوضعية لنقد الفلسفة المثالية والميتافيزيقية

- تعتبر الفلسفة الوضعية فلسفة علمية تقوم بدراسة الواقع على أساس التجربة والملاحظة وتستبعد التخمين والخيال أي لا تؤمن إلا بما هو علمي

-أقام كونت فلسفته على دعامتين أساسيتين هما: قانون الحالات الثلاث وتصنيف العلوم فقانون الحالات من خلال مرورها من بداياتها الأولى بالمرحلة اللاهوتية والميتافيزيقية وصولا إلى المرحلة الوضعية التي يعتبرها كونت أرقى مرحلة وصلت إليها البشرية.

-لطالما اعتمد الإنسان القديم في تفسيره لحدوث الظواهر الاجتماعية على إرجاعها إلى قوى خفية من آلهة وأرواح أو إلى قوة مجردة، لكن مع الفكر الإنساني الذي عمل كونت على تبريره من خلال قانون المراحل الثلاث، أصبح الإنسان يبحث عن القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية لأنها خاضعة لحتمية ما، بدلا من بحثه فيما سبق على أسباب حدوثها.

[1] نذير زريبي، الوجيز في علم الاجتماع (نظريات اجتماعية)، المرجع السابق، ص55.

[2] المرجع نفسه، ص56.

[3] المرجع نفسه، ص56.

-أسس كونت علم الاجتماع لدراسة المجتمع، فالمجتمع في عصره كان بحاجة إلى علم مستقل يعمل على دراسته، بغية تسوية الوضع القائم فيه

-توج علم الاجتماع العلوم الأساسية التي صنفها كونت في السلم الموسوعي، لهذا يعتبر آخر العلوم وتاجها جميعا بما أنه وصل إلى درجة كبيرة من التطور اعتبارا لتصنيفه.

-يقوم منهج أوغست كونت العلمي على أساس (الملاحظة، التجربة، المنهج المقارن، المنهج التاريخي)، من خلال هذه الخطوات سيصل الإنسان إلى معرفة صحيحة يقينية ويبلغ بتفكيره المرحلة الوضعية العلمية ويبتعد عن الخيال وكل ما هو بعيد عن الواقع.

خلاصة:

حاولنا في هذا الفصل الوقوف على أهم المفاهيم الواردة في بحثنا ككل، إضافة إلى معالجة أهم النقاط التي أقام عليها كل من ابن خلدون وكونت فلسفتهما وهي كالآتي:

-يعتبر العلامة عبد الرحمان بن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع وواضع أسسه ومنهجه بالرغم أنه لم يحصل إلا على الإجحاف والتجاهل المتعمد في تأسيسه لهذا العلم.

-لابن خلدون العديد من الإسهامات السوسيولجية لعل أهمها، أن تأسيسه لعلم الاجتماع كان خدمة للمؤرخين إضافة إلى وقوفه على أهم العلاقات التي تربط علم الاجتماع بالعلوم الأخرى المساعدة له في دراسة الظواهر الاجتماعية

-انقسم منهج ابن خلدون إلى قسمين قسم عبارة عن قواعد وقائية تجنب الباحث الوقوع في الخطأ وقسم عبارة عن القواعد العلمية التي ينبغي على الباحث الالتزام بها للحصول على معرفة صحيحة تمثلت في الآتي: (المعرفة العلمية، التقليل من الملاحظة، المقارنة، التمحيص والنقد، التطور).

أما بالنسبة لكونت فهو الآخر أسس فلسفة وضعية تهدف إلى تجاوز الأنظمة اللاهوتية والميتافيزيقية والسير بالإنسانية نحو التقدم.

-قامت فلسفته على دعامتين هما: قانون الحالات الثلاث وتصنيف العلوم.

-أسس كونت علم الاجتماع لدراسة المجتمع للعمل على القضاء على الفوضى السائدة فيه سواءا الفوضى العقلية أو الأخلاقية .... الخ.

-يقوم المنهج العلمي عند أوغست كونت على الخطوات التالية: (الملاحظة، التجربة، المنهج المقارن، المنهج التاريخي)، من خلال هذه الخطوات يستطيع الباحث الوصول إلى القوانين التي تحكم سير الظواهر الاجتماعية.

.

الفصل الثانـي:

فلسفة التربية عند ابن خلدون

- **المبحث الأول: الملكة التربوية عند ابن خلدون.**
- **المبحث الثاني: ابن خلدون ونقده لطرق التربية والتعليم السائدة في عصره.**
- **المبحث الثالث: الأسس الفلسفية للتربية عند ابن خلدون.**

يعد ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع إضافة إلى كونه مؤرخ، ولا يخفى علينا نظرياته القيمة التي قدمها في الاقتصاد والسياسة وباقي المجالات الأخرى، مما يبرهن على حنكته وسعة اطلاعه، الأمر الذي جعل منه اسما بارزا في التاريخ.

فقد انطلق من علم الاجتماع ليعالج العديد من المشاكل ويدرس العديد من الظواهر، لعل أهمها ظاهرة التربية، إذ اعتبرها ظاهرة اجتماعية.

فقد تطرق ابن خلدون إلى التربية في إطار نسقها الاجتماعي لأن الذي نقوم بتربيته هو الإنسان طبعا والذي وصفه بأنه كائن مدني بطبعه، فبدون شك لا يمكننا عزل الفرد عن محيطه الاجتماعي. ومن خلال تفاعل الفرد مع محيطه إنما يؤثر ويتأثر، وعمليتي التأثر والتأثير سيكون لهما انعكاسات إما ايجابية أو سلبية على واقع التربية والتعليم في المجتمع.

ولابن خلدون العديد من الآراء بهذا الشأن لابد من التعرف عليها لذا نطرح الإشكال التالي: فيما تمثلت آراء ابن خلدون التربوية؟ وهل هي صالحة لمعالجة الأمراض الفتاكة التي أصابت المنظومة التربوية العربية في وقتنا الراهن؟.

المبحث الأول: الملكة التربوية عند ابن خلدون.

في فلسفة ابن خلدون التربوية نجد تحليلا عميقا لكيفية تأصيل القيم التربوية في الأفراد من خلال حديث العلامة عن كيفية حصول المعرفة وتصفيفه الدقيق للعلوم وتقسيمه لمراتب العقول وتفسير دورها في التطور الثقافي والاجتماعي.

فقد ركز ابن خلدون في عرض أفكاره بخصوص هذا المجال على الملكة التربوية وكيفية وضرورة حصولها لدى المتعلم، إذ أن حصولها سيساهم في بناء شخصية هذا الأخير.

فالحديث عن هذه الأمور التي قال بها ابن خلدون يقودنا إلى فهم نظريته الشاملة حول التربية والتعليم ولتوضيح العديد من الأمور بهذا الخصوص نتساءل: ما علاقة الملكة التربوية عند ابن خلدون؟ وما هي أنواع العقول التي قال بها العلامة؟ وفيما تتمثل وظيفة كل عقل حسبه؟ وعلى أي أساس قسم العلوم؟ وكيف أسس ابن خلدون نظريته التربوية على هذه الأمور؟.

أولا: تأصيل القيم والمهارات في المتعلم من خلال تربية الملكات:

تعرف التربية بأنها مجموع العمليات التي يستطيع من خلالها المربي أن يلحق للطفل مجموعة من المعارف والسلوكات والتصرفات وحتى الثقافة، كما أنها عملية تنمية للقدرات العقلية والجسمية والروحية للطفل...الخ وتختلف التعاريف لهذا المفهوم باختلاف المجال الذي يرد فيه هذا الأخير، لكنها في نهاية المطاف تعبر عن معنى واحد.

وموضوع التربية إنما شغل حيزا كبيرا من اهتمام العلماء والمربين منذ القدم، ومن بين الذين تطرقوا لهذا الموضوع العلامة عبد الرحمن بن خلدون، وكان له أراء مهمة في هذا الشأن بالرغم من أنه لم يستخدم لفظ التربية في حديثه عنها، بل استخدم لفظ التعليم، فنجده يمزج بين التربية والتعليم معبرا عنها بلفظ التعليم.

فقد أكد ابن خلدون على أهمية التعليم وكذا التنشئة الاجتماعية للطفل وهذا من خلال رأيه حول أثر التعليم منذ الصغر، ولا ننسى أيضا أنه ربط كل هذا بالمجتمع، وذلك من أجل إدماج الفرد في المنظومة الاجتماعية، لأن الذي نقوم بتربيته هنا هو الإنسان طبعا، كما

يقول إيمانويل كانط في شأنه أنه "الكائن الوحيد الذي يحتاج إلى تربية"،[1] والإنسان هنا كائن اجتماعي لا نستطيع عزله عن محيطه.

كما تقوم التربية عنده على تحقيق الهدفين الديني والدنيوي، إذ سعى من خلال التربية أن يتيح للإنسان فرصة حتى يتمكن من عيش حياة كريمة في مجتمع متحضر، ويبدو ذلك جليا من خلال ربطه مسألة ازدهار الحضارة بتطور العلوم والصنائع، التي تطور الفرد من جميع جوانبه وتساعده على كسب معاشه.

يكرر ابن خلدون في صفحات كثيرة من مقدمته لفظ "الملكة"، والتي قام بربطها بالعديد من المواضيع التي تحدث عنها، لدرجة أنه جعلها أساس تلك الأمور من تعليم وصناعة غيرها، وهذا ما يفسر أهميتها عند ابن خلدون، مما جعله يقيم التعليم على أساسها فماذا يقصد ابن خلدون بالملكة؟ وما علاقتها بالتعليم؟

مفهوم الملكة عند ابن خلدون:

أشرنا سابقا إلى مفهوم الملكة، لكن بما أن التعليم في نظر ابن خلدون يقوم على أساس تكون الملكة لدى المتعلم، ارتأينا أن نوضح بعض النقاط بخصوصها.

يعرفها ابن خلدون بأنها "صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته"[2]، وبالتالي هي رسوخ لتلك الأعمال التي نقوم بها باستمرار والفائدة المحصلة من ذلك الرسوخ.

والملكة حسب ابن خلدون مكتسبة، لأن "الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا وتعود منه لذات الصفة ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة".[3]

وهكذا قد أكد ابن خلدون أن الملكة مكتسبة وحصولها لن يكون إلا لتكرار الأفعال.

أنواعها: حسب ما ورد عن ابن خلدون في حديثه عن الملكة، تبين لنا أنه يميز بين عدة أنواع من الملكات وهي:

---

[1] إيمانويل كانط، في التربية وإجابة عن السؤال: ما لتنوير؟ المصدر السابق، ص 21.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص 372.

[3] المصدر نفسه، ص 555.

- **المكلة العلمية:** هذه الملكة تخص العلوم، فمن خلال تمكن المتعلم من علم وإحاطته بكل ما يخص هذا الأخير تحصل له هذه الملكة وهذا ما يعبر عنه قول ابن خلدون" أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده".[1]

- **الملكية الصناعية:** أما هذه الملكة فتكون في الصناعة، وفي شأنها يقول العلامة ابن خلدون" اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا فهو جسماني".[2]

- **الملكة اللسانية:** متعلقة بالجانب اللغوي بحيث "يتمكن الإنسان من خلالها من اختيار الألفاظ المناسبة للتعبير عن المعاني".[3]

ونظرا لأهمية الملكة اللسانية لا بد من حصولها. وفي أهمية اللغة يقول ابن خلدون أن "اللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك".[4]

ويضيف ابن خلدون كذلك أن "اللغات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها".[5]

ومن خلال هذه الأنواع قد حدد ابن خلدون وظيفة كل ملكة كما رأينا.

أهمية الملكة عند ابن خلدون:

عمل ابن خلدون على ربط التعليم بضرورة حصول المكلة لدى المتعلم، فحسبه إن لم تحصل الملكة للمتعلم في العلم الذي يأخذه لن يحصل المبتغى من التعليم.

لذلك فالعلاقة التي أقامها بين التعليم وحصول الملكة ضرورية، وذلك حتى يترسخ لدى المتعلم العلم الذي أخذه ويكون بإمكانه التصرف فيه، فإن أصبح معلما فيما بعد سيكون معلما حذقا ملما بالعلم الذي أخذه متمكنا من تدريسه للمتعلمين.

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص 401.

[2] المصدر نفسه، ص372.

[3] بومانة محمد، الملكة العلمية عند ابن خلدون، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، قسم علم النفس والفلسفة جامعة الجلفة، العدد 06، دت، ص219.

[4] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص546.

[5] المصدر نفسه، ص555.

وهذا ما أراده ابن خلدون من ضرورة حصول الملكة، ويبدو ذلك جليا من خلال قوله:" أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا".[1]

وقوله هذا يبرهن أهمية حصول الملكة لدى المتعلم، باعتبارها أساسا للتعليم سواءا من ناحية المعلم أو المتعلم، فالمعلم إن كانت ملكته قاصرة في العلم الذي هو بصدد تعليمه لن يتمكن من تعليمه للمتعلم الذي ستكون ملكته قاصرة هو الآخر، وبهذه الطريقة لن تتكون الملكة لدى المتعلم كما أراد ابن خلدون.

فالأمر متوقف على كمال ملكة المعلم قبل كل شيء وإن كان العكس فلن تحصل لمتعلمه، لأن فاقد الشيء لا يعطيه كما يقال.

شروط تكون الملكة العلمية عند ابن خلدون:

أ- **جودة التعليم:** والمقصود بها الكيفية التي يتلقى بها المتعلم ذلك العلم، وهذا راجع للمعلم من خلال الأسلوب الذي يستخدمه والقواعد التي يراعيها في تدريسه، وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون "على قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته".[2]

وجودة التعليم هنا ليس لها علاقة بمدة العلم ولا كميته وإنما تنحصر في الأسلوب والكيفية التي يعلم بها ذلك العلم.

ب-مراعاة قدرات الفرد: وهذا شرط ضروري لتكون الملكة العلمية لدى المتعلم، إذ ينبغي الحرص على عدم تكليف المتعلم فوق طاقته حتى لا يتعرض للضغط، وإلا سينعكس سلبا على نفسية المتعلم وتحصيله على حد السواء.

فالقدرات تختلف من شخص إلى آخر وليس الجميع بنفس القدر من الإدارة والتركيز والاستيعاب، وهذا ما يبرره قول ابن خلدون "أن النفس إن كانت في جبلّتها واحدة بالنوع فهي

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق ، ص401.

[2] المصدر نفسه، ص 372.

تختلف في البشر بالقوة والضعف في الإدراكات، واختلافها إنما هو باختلاف ما يرد عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تكيفها من الخارج".[1]

وبالتالي حتى العوامل الخارجية المحيطة بالفرد لها دور في التفاوت الحاصل بين الناس، لذا كلما تمت مراعاة قدرات الفرد، كلما كانت النتائج إيجابية.

ت- مستوى الحضارة: والمقصود هنا البيئة الثقافية والاجتماعية التي تسهم في تطور المعرفة العلمية لدى المتعلم، فالحضارة تزدهر بتطور العمران وازدهار العلوم، لذا كلما كان الاهتمام بالعلم والتعليم في مجتمع ما حاصلا فان هذا سينعكس إيجابا على الأفراد المتعلمين في تكوين ملكتهم العلمية من خلال التأثر بالوضع السائد.

وهنا نجد أن هناك علاقة وطيدة بين التعليم والحضارة، فكلما كانت هذه الأخيرة على ذلك القدر من التقدم والازدهار، كلما انعكس ذلك إيجابا على مجالي التربية والتعليم، فإذا كان المجتمع مشجع للعلم والمعرفة فان ذلك سيؤدي إلى تكون الملكة العلمية لدى المتعلم على عكس البيئة التي تفتقر لهذه الأمور "وهو الأمر الذي يبدو جليا من خلال التفاوت في مستوى العلوم والصنائع بين المشرق والمغرب".[2]

فابن خلدون يرى أن أهل المشرق أعرق في العمران الحضري واهتمامهم بالعلوم وازدهارها عندهم أكثر من غيرهم لازدهار حضارتهم، أما أهل المغرب فقد ذهب سند التعليم من بينهم كما ذكرنا وفي هذا يقول: "وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم".[3]

وأما أهل المشرق كما قلنا فأنهم كانوا أهل علم وحضارة، وفي شأنهم يقول: "وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل أسواقه نافقه وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه".[4]

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص578.

[2] بومانة محمد، الملكة العلمية عند ابن خلدون، المرجع السابق، ص 219.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 402.

[4] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 403.

ومن رأيه هذا نستنتج أن هناك علاقة وطيدة بين تشكل الملكة العلمية لدى المتعلم ومستوى الحضارة التي ينتمي إليها، لأننا لا نستطيع بناء حضارة دائمة ومزدهرة بدون التركيز على تنمية الفرد من خلال التعليم والتربية السليمة.

المبحث الثاني: أنواع العقول عند ابن خلدون:

ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن الحيوان بالفكر الذي فضله به على سائر الكائنات هذا ما ذهب إليه ابن خلدون في مطلع الباب السادس من مقدمته، أي باب العلوم وأصنافها.

إذ عمل ابن خلدون على التفرقة بين الإنسان والحيوان، بأن الإنسان يدرك العالم الخارجي بالفكر في حين أن الحيوان لا يدركه إلا عن طريق الحواس.

وفي هذا الشأن كان له حديث عن العقل، كما قام بتقسيمه إلى مراتب ولمعرفة هذه المراتب أو الأنواع التي قال بها ابن خلدون بهذا الخصوص نتساءل: ما هي أنواع العقول التي قال بها ابن خلدون؟ وفيا تتمثل وظيفة كل عقل؟ وما علاقة كل هذا بالتربية؟

ذهب ابن خلدون إلى وصف الإنسان بأنه كائن مفكر، وأن ما يميزه عن باقي الكائنات هو الفكر طبعا، والذي يرى بأنه" التصرف في تلك الصور وراء الحس والجولان الذهني بالانتزاع والتركيب"[1]، وهذه الأمور ليس بمقدور كائن غير الإنسان أن يفعلها. وقد قسم ابن خلدون العقل إلى مراتب وهي كالآتي:

- **العقل التمييزي:** وظيفة هذا العقل حسب ابن خلدون "تعقل الأمور المترتبة في الخارج ترتيبا طبيعيا أو وضعيا ليقصد إيقاعها بقدرته وهذا الفكر أكثر تصورات[2]، بمعنى أنه عقل يعمل على فهم الحياة الاجتماعية اليومية التي يعيشها الإنسان.

- يستطيع الإنسان من خلال هذا العقل أن يميز بين الخطأ والصواب وهذا ما جعله يسميه بالتمييزي، كما يستطيع الفرد من خلاله أن "يحصل منافعه ومعاشه ويدفع مضاره".[3]

- ومن خلال هذا القول نستنتج أن هذا العقل يخص الإنسان البسيط الذي يعيش داخل المنظومة الاجتماعية والتي يسعى فيها إلى تحصيل رزقه ومنافعه...الخ.

- **العقل التجريبي:** وفي شأنه يقول أنه"الفكر الذي يفيد الآراء والآداب في معاملة أبناء جنسه وأكثرها تصديقات تحصل بالتجربة شيئا فشيئا إلى أن تتم الفائدة منها"[4]، بمعنى أنه

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص400.

[2] المصدر نفسه، ص400.

[3] المصدر نفسه، ص400.

[4] المصدر نفسه، ص400.

العقل الذي يهتم بالمجال العلمي الذي يضيف فائدة للمجتمع، أي يختص بدراسة القضايا العلمية وما يتعلق بمختلف العلوم.

- كما يعمل على البحث في أساسيات التعامل القائم بين أفراد المنظومة الاجتماعية حتى يسود الانسجام وتختفي الفوضى من المجتمع.

- **العقل النظري:** وبخصوصه يقول ابن خلدون بأنه "الفكر الذي يفيد العلم بمطلوب أو الظن وراء الحس لا يتعلق به عمل"[1]، أي لا يبحث في القضايا العملية للحياة اليومية التي بإمكاننا أن نعيشها أو الأمور التي تتراءى أمامنا والتي بإمكاننا مشاهدتها، إنما يبحث فيما هو أبعد من ذلك.

وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون" وهو تصورات وتصديقات تنتظم انتظاما خاصا على شروط خاصة، فتفيد معلوما آخر من جنسها في التصور أو التصديق ثم ينتظم مع غيره فيفيد معلوما آخر كذلك وغاية إفادته قصور الوجود على ما هو عليه بأجناسه وفصوله وأسبابه وعلله، فيكمل الفكر بذلك حقيقته ويصير عقلا محضا ونفسا مدركة وهو معنى الحقيقة الإنسانية".[2]

ومن خلال قول ابن خلدون هذا نستنتج أن العقل النظري أو التأملي هو عقل يبحث في الماورائيات والقضايا التي تخص الوجود...الخ.

إذن كانت هذه هي أنواع العقول التي قال بها ابن خلدون، ومن خلال وظيفة كل عقل نستنتج أن العقل التجريبي هو الأقرب لما ذهبت إليه التربية الخلدونية، اعتبارا أنه يبحث في العلوم.

والتساؤل المطروح هنا: ما علاقة التربية بالعقل؟

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص400.

[2] المصدر نفسه، ص400.

علاقة التربية بالعقل:

أهم سمة في التربية أنها خاصية إنسانية بما أن الإنسان هو الوحيد الذي يحتاج إليها وما يميز الإنسان عن الحيوان هو العقل، وهذا الأخير تستند عليه عمليتي التربية والتعليم باعتباره فاصلا بين الإنسان والحيوان.

وإذا عرفنا التربية بأنها تنمية القدرات العقلية والجسمية والروحية للفرد، فإن حديثنا عن تنمية القدرات العقلية إنما يكون بتلقي مختلف العلوم والمعارف، التي من شأن العقل أن يفكر في قضاياها ويحللها، وهذا يبرهن أن العقل له وظيفة أساسية في التربية، انطلاقا من كون الإنسان كائن مفكر، وكذا اعتبارا أن العقل مصدر للمعرفة.

والأهم من كل هذا أن العقل هو أساس التمييز بين الخطأ والصواب واستيعاب ما يرد على الإنسان من معارف وغيرها وبهذا سيكون بإمكان الإنسان أن يتعلم ويتربى بطريقة سليمة، فالإنسان بدون عقل لا يمكنه أن يستوعب أي شيء، ولهذا رفع التكليف عن فاقد العقل.

ثالثا: تصنيف العلوم عند ابن خلدون:

قام ابن خلدون بتصنيف العلوم إلى صنفين، صنف طبيعي وصنف نقلي، وهذا ما عبر عنه بقوله"اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذ عمن وضعه".[1]

✓ **الصنف الطبيعي:** هذا الصنف حسب ابن خلدون يهتدي إليه الإنسان بفكره وهي العلوم العقلية أو ما يسميها ابن خلدون بالعلوم الحكمية الفلسفية، إذ يرى أنها تلك العلوم "التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر"[2]، ويضم هذا الصنف كل من العلم الطبيعي، والعلم الإلهي إضافة إلى المنطق والرياضيات...الخ.

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص 405.

[2] المصدر نفسه، ص405

- **الصف النقلي:** يرى ابن خلدون أن العلوم النقلية الوضعية هي علوم "مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول"[1] ويشمل هذا الصنف كل من القرآن والحديث.

ويلحق ابن خلدون بهذا الصنف العلوم اللسانية، وهي حسبه مساعدة في دراسة العلوم النقلية ويقول ابن خلدون أنها" أصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب حسب ما نتكلم عليها كلها، وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها"[2].

ويرتبها ابن خلدون حسب أهميتها كالآتي:

العلوم الدينية.

العلوم العقلية.

العلوم المساعدة في دراسة العلوم النقلية، أي العلوم اللسانية كما ذكرنا.

العلوم الآلية المساعدة في فهم العلوم العقلية مثل المنطق وصلته بالفلسفة.

أما عن العلوم المتداولة في عصر ابن خلدون "والتي يختص كل منها بنوع من أنواع الخلق"[3]، وهي كالآتي:

- **العلوم الإنسانية:** هذه العلوم "كلها مكتسبة وتكون بحصول صورة المعلوم ذات الإنسان وهي مختصة بالبشر من الخلق".[4]

- **علوم الملائكة:** وهذا النوع من العلوم "تعلمه الملائكة على الجملة، ولا ندرك له تفصيلا".[5]

- **علوم الأنبياء:** أما عن هذه العلوم "فهي حالة الهيئة خارجة عن منازع البشر".[6]

- **علم التصوف:** هو علم "من العلوم الشرعية الحادثة على الملة".[7]

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص405.

[2] المصدر نفسه، ص405.

[3] عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط1، 1991 ص51.

[4] المرجع نفسه، ص 51.

[5] المرجع نفسه، ص 51.

[6] المرجع نفسه، ص 51.

[7] المرجع نفسه،. ص 51.

- **علم التعبير الرؤيا:** يعتبر من بين "العلوم الشرعية الحادثة على الملة، وأصبح صنعة عند ما صارت العلوم صنائع".[1]

هذه الأنواع التي يقر بها ابن خلدون والتي كانت متداولة في عصره، أما العلوم التي لا يقر بها ابن خلدون نذكر: علم السحر وعلم الكيمياء وعلم أسرار الحروف.

ومن بين كل العلوم التي سبق ذكرها يهمنا "العلوم الإنسانية بنوعيها النقلي والعقلي (الحكمي) إذ يقسم ابن خلدون كل نوع من هذين النوعين إلى فروع والفروع يمكن أن تقسم إلى فروع".[2]

كانت هذه هي أهم العلوم المتداولة في عصر ابن خلدون أما عن تقسيم هذا الأخير للعلوم فق قسمها إلى صنفين: صنف طبيعي يهتدي إليه الإنسان بفكرة قسمها إلى صنفين: صنف الطبيعي يهتدي إليه الإنسان بفكرة، وصنف نقلي يضم العلوم الدينية من قرآن وسنة إضافة إلى العلوم الآلية الخادمة لهذه العلوم المتمثلة في العلوم اللسانية.

تطرقنا في مبحثنا هذا المعنون بالملكة التربوية عند ابن خلدون، إلى الملكة وصلتها بالتربية والتعليم عند ابن خلدون، وانتقلنا للحديث عن أنواع العقول ثم تصنيف العلوم وتوصلنا باختصار إلى ما يلي:

- أساس التعليم عند ابن خلدون هو حصول الملكة لدى المتعلم في العلم الذي يأخذه، وإن لم تحصل هذه الملكة لن يحصل المبتغى من التعليم.

- تكمن أهمية التعليم عند ابن خلدون باعتباره ظاهرة طبيعية للإنسان في تنمية شخصية الأفراد باعتبار الإنسان هو أساس الفعل الحضري.

- قسم ابن خلدون العقل إلى ثلاثة مراتب، لكل عقل وظيفة يختص بها، وتكمن أهمية العقل في أنه مصدر للعلوم.

- العلوم عند ابن خلدون على صنفين: صنف طبيعي وصنف نقلي، الصنف الطبيعي متمثل في العلوم العقلية والصنف النقلي في العلوم الدينية، وما يهمنا من بين كل العلوم التي كانت سائدة في عصر ابن خلدون هذين الصنفين وما يتفرع عنهما من علوم أخرى.

---

[1] عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، المرجع السابق، ص 51.

[2] المرجع نفسه، ص 52.

المبحث الثاني: ابن خلدون ونقده لطرق التربية والتعليم السائدة في عصره.

لقد شغل ابن خلدون وظيفة مدرس العديد من المرات من فرط اهتمامه بالتعليم خاصة عندما توجه إلى مصر، حيث تقلد العديد من المناصب في هذا الشأن، لكن اهتمامه بالعلم والتعليم كان قبل ذهابه إلى هناك فلطالما كان التحصيل العلمي همه الوحيد وذلك راجع لنشأته الأولى، فقد نشأ في بيت علم وتلقى تربيته وفق هذا الأمر الذي جعله يواصل على نفس المنوال، ففي الوقت الذي كان مسافرا من مكان لآخر كان يلاحظ حال التعليم في الأمصار الإسلامية آنذاك والذي كان متراجعا، وهذا ما أدى به إلى تناول الطرق السائدة في عصره بالنقد ليجد حلولا بديلة لما هو سائد فيما بعد، وعليه نطرح الإشكال التالي: ما هي أهم الأمور التي قام ابن خلدون بنقدها؟ وفيما يكمن تأثيرها السلبي؟

لقد تطرق ابن خلدون في مقدمته للعديد من الأمور التي تكون سببا في تراجع التعليم وعائقا أمام تكون الملكة العلمية لدى المتعلم، والتي كانت سائدة في عصره، الأمر الذي جعله يتناولها بالنقد، من أجل الإقلاع عنها وتطبيق طرق جديدة تكون في صالح المتعلم وتتمثل هذه العوائق فيما يلي:

-**الحفظ:** يعتبر الحفظ الحرفي دون فهم المعنى الحقيقي للمواد العلمية عائقا كبيرا أمام تكون الملكة العلمية لدى المتعلم، لأن هذا الأمر سيقضي على التفكير النقدي لدى المتعلم كما سيفقده آليات التفكير المنطقي السليم.

لذا نجد ابن خلدون يقول بضرورة الإقلاع عن الحفظ الأعمى الذي يورث سوء الملكة ويجعل المتعلم عاجزا عن استخدام عقله بشكل صحيح، ويؤكد على أهمية التحليل العميق والتفكير النقدي، الذي سيساعد المتعلم على تمحيص وغربلة الأفكار وتحقيق الفهم الحقيقي للمعارف والمهارات العلمية.

ونظرا لانتشار هذا النوع من الحفظ في زمن ابن خلدون والذي كان عائقا من عوائق التحصيل العلمي، قام ابن خلدون بنقده بغية الإقلاع عن هذا النوع من الحفظ.

ونلمس هذا من خلال حديثه عن أهل المغرب، لأن عنايتهم بالحفظ كانت كبيرة، وهذا ما جعله يقول في شأنهم "فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة

المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة"[1] وبالتالي كثرة الحفظ يستنتج عنها قلة الحوار والمفاوضة التي ينبغي أن تتوفر في المتعلم.

ومن يعتمدون على هذه الطريقة حسب ابن خلدون "لا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل نجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علم"[2]، لذا ينبغي تجنب الحفظ الأعمى الذي يورث قصورا في الملكة، بالرغم من أنه منتشر بكثرة في عصرنا الحالي.

-**كثرة التأليف في العلم الواحد:** في مقابل طريقة الاختصارات التي انتشرت في عصر ابن خلدون، انتشرت هذه الظاهرة هي الأخرى بكثرة، بحيث نجد أن ابن خلدون يرفضها منددا بانعكاساتها السلبية في حصول الملكة العلمية.

فقد رأى ابن خلدون أن كثرة التأليف في العلم الواحد عائقا أمام التحصيل العلمي الجيد وذلك لما فيها من خلط وتشتيت للمتعلم، إذ نجد الكثير من المؤلفات في العلم الواحد وكلها تتناول نفس الموضوع وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون"أعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها"[3]، وهذا الأمر سيحول دون اكتساب المتعلم للمعارف، لأنه لا يستطيع الإلمام بجميع طرق المؤلفين واستيعاب المصطلحات المتعددة الواردة في تلك التآليف.

فإذا كان المتعلم مضطرا للوقوف على جميع تلك المؤلفات فهذا سيكون عائقا أمام تحصيله العلمي لأنه لا يستطيع الإلمام بكل ما ورد فيها، فلكل مؤلف رأيه الخاص.

ولما كان المتعلم في زمن ابن خلدون ملزما بمواجهة هذه الظاهرة بالرغم أنها لا تفيده بشيء سوى خلط الأمور عليه، يذهب ابن خلدون بالقول" فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور ولابد دون رتبة التحصيل"[4]، لذا يرى ابن خلدون أنه ينبغي الحرص على تجنب التأليف

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص 402.

[2] المصدر نفسه، ص402.

[3] المصدر نفسه، ص 535.

[4] المصدر نفسه، ص535.

الكثيرة في العلم الواحد، لما لها من خلط وتعجيز للمتعلم من خلال كثرة التكرار التي تحدث وتعدد طرق العرض.

فالأصح هنا التركيز على أمهات الكتب في العلوم، إن كانت هناك تأليف كثيرة في علم ما، ينبغي أن تكون إضافات جديدة لتلك المواضيع وتسليط الضوء على الجوانب التي لم يتم التطرق لها من قبل وليس إعادة المعلومات السابقة فقط وحشوها بكثرة المفاهيم المعقدة مثلما هو سائد حاليا، الأمر الذي نتج عنه تراجع كبير في مجال التعليم.

-كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم: لقد أشار ابن خلدون أن طريقة الاختصارات لا تفيد المتعلم في شيء سوى عرقلة تعليمه من خلال تقديم المعلومات بشكل سطحي وغير مفصل مع تعقيد المصطلحات، وهي بهذا تفقد المتعلم العمق والتفصيل في العلم الذي يأخذه، إضافة إلى ضياعه وسط المفاهيم الصعبة التي تحتوي عليها تلك الاختصارات.

وقد وضح ابن خلدون أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في زمانه، وهي لا تزال إلى حد الساعة بل وازدادت بكثرة، وفي وصفه لهذا الأمر يقول "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وأمثالهم".[1]

ونقد ابن خلدون لهذه الظاهرة انطلاقا لما ينتج عنها من سلبيات كثيرة وإخلال بتعليم المتعلم، كونها تعسر عليه عملية الفهم وتؤدي به إلى الحفظ فقط إن استطاع ذلك طبعا لصعوبة المصطلحات الواردة كما أشرنا، وفي ذكره سلبياتها الكثيرة يقول أن هذا الأمر "فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل وذلك، لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتي، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص535.

استخراج المسائل من بينها، لأن ألفاظ المختصرات نجدها لأجل ذلك صعبه عويصة"،[1] وقوله إنما يفسر العيوب الناتجة عن كثرة الاختصارات وهي كالآتي:

- ✓أنها إخلال بالبلاغة.
- ✓فساد في التعليم.
- ✓فيها خلط على المبتدئ بإلقاء الغايات عليه في البداية.
- ✓تجعل المتعلم ينسى الموضوع الأساسي ويتتبع الألفاظ العويصة.

وسبق أن أشرنا أن الهدف من التعليم عند ابن خلدون هو تكوين ملكة علمية لدى المتعلم، وطريقة الاختصارات ستحول دون حصول هذا الأمر لأنها عائق أمام حصول الملكة وإن حصلت ستكون قاصرة، يقول ابن خلدون في هذا الشأن أن "الملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة"[2]، لذا نبه ابن خلدون بشدة على ضرورة الابتعاد عن الاختصارات في العلوم لكي يتمكن المتعلم من تحصيل ملكة كاملة في العلم الذي يأخذه.

-الاكتفاء بتعليم القرآن وحده:

لقد ساد منذ القدم تعليم القرآن للأطفال منذ الصغر، لماله من فوائد على المتعلم والأهم أنه" شعار من شعائر الدين"[3]، كما أن طبيعة البيئة الإسلامية تفرض الاهتمام بتدريس القرآن للأطفال أكثر من سواه وهذا ما كان سائدا في زمن ابن خلدون.

والاهتمام بتدريس القرآن منذ الصغر إنما لينشأ الطفل عليه وذلك "لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه."[4]

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 535.

[2] المصدر نفسه، ص 535.

[3] المصدر نفسه، ص 531.

[4] المصدر نفسه، ص531.

وقول ابن خلدون إنما يبين أهمية تعليم القرآن منذ الصفر وأنه هو الأساس في التعليم والسؤال المطروح هنا من أي جانب نقد ابن خلدون تعليم القرآن؟ ولماذا؟

ابن خلدون كما أشرنا اعتبر تعليم القرآن هو الأساس لما له من فوائد على شخصية المتعلم وتحصيله، ونقده لم يكن لتعليم القرآن إنما للطريقة التي كان يدرس بها في الأمصار الإسلامية، لذا نجده يؤكد على ضرورة تعليم القرآن إلى جانب العديد من العلوم الأخرى حتى تتشكل الملكة العلمية لدى المتعلم.

فتعليم القرآن وحده حسب ابن خلدون سينتج عنه قصور في "ملكة اللسان جملة وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها"[1]. وهذا ما جعل العلامة يؤكد على ضرورة تعلم المتعلم باقي العلوم من العربية والكتابة والفقه والحديث والشعر وغيرها، حتى يتسنى له تكوين ملكة من تلك العلوم إلى جانب تعلمه للقرآن وإلا فتعليم القرآن وحده لن يفي بالغرض وذلك لأن البشر لا يستطيعون أن يستعملوا أساليبه كما قال ابن خلدون، كما أن هذه العلوم التي يتلقاها المتعلم ستكون بمثابة مقدمة لدراسة القرآن.

ومن خلال عرض ابن خلدون لطرق تعليم القرآن السائدة في الأمصار الإسلامية، يذكر العديد من المذاهب وطرق تعليم القرآن المتبعة لديهم والنتائج الحاصلة عن كل طريقة وهي حسب ابن خلدون كالآتي:-

- **طريقة أهل المغرب ومن تبعهم من قرى البربر:** حسب ابن خلدون فهم يقتصرون على تعليم القرآن وحده وهذا ما يبرره قوله أن "مذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن لا يخلعون ذلك بسواه"[2]، وهذا الأمر سينتج عنه قصور في الملكة.

لأن المتعلم سيبقى مقتصرا على تعلم القرآن وحده "إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة"[3]، ذلك لأنه لا يدرس شيئا غير القرآن.

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص 540.

[2] المصدر نفسه، ص 539.

[3] المصدر نفسه، ص539

كما يشير ابن خلدون أن اهتمامهم بتعليم القرآن كبير، لأنهم يهتمون به دون سواه من العلوم فتجدهم "أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم"[1]، لأنهم اهتموا به اهتماما بالغا منذ الصغر إلا أن تعليم القرآن وحده بالرغم من ايجابياته إلا أنه سينتج عنه قصور في الملكة.

-**الطريقة السائدة في الأندلس:** أهل الأندلس لا يقتصرون على تعليم القرآن وحده، بل يهتمون بتعليم باقي العلوم لكنهم يعتبرون القرآن هو الأصل وذلك لأنه "منبع الدين والعلوم وجعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتابة"[2] ويضيف ابن خلدون أن عنايتهم بالخط كانت كبيرة.

-**الطريقة التي اتبعها أهل إفريقية:** وهنا كذلك يخلطون تعليم القرآن بسواه، إلا أن اهتمامهم بالقرآن أكثر من باقي العلوم يقول ابن خلدون أنهم "يخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبعا لذلك"[3]، وهنا نجد أن طريقتهم أقرب إلى طريقة أهل الأندلس "لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس"[4].

- **طريقة تعليم القرآن في المشرق:** أما أهل المشرق كذلك لا يقتصرون على تعليم القرآن فقط، فكانت "عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطونه بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده كما تعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان"[5]، وهنا حسب ابن خلدون ليس معلوم بضبط ما كانوا يخلطون به تعليم القرآن، الأهم أنهم لا يقتصرون على تعليم القرآن فقط.

والمراد من الحديث عن الطرق السائدة في تعليم القرآن في الأمصار الإسلامية آنذاك من أجل توضيح رأي ابن خلدون بخصوص الاقتصار على تعليم القرآن فقط، والذي رأى أنه

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص 539.

[2] المصدر نفسه، ص540.

[3] المصدر نفسه، ص 540.

[4] المصدر نفسه، ص 540.

[5] المصدر نفسه، ص540

يورث قصورا في ملكة اللسان كما أشرنا سابقا، وهذا ما حدث مع الذين سادت لديهم هذه الظاهرة كأهل المغرب مثلا، على عكس أهل الأندلس الذين حصلت لهم "ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي"[1]، نتيجة لاطلاعهم على باقي العلوم والتفنن في تعليمها. فنقد ابن خلدون لهذه الطريقة لم يكن عبثا إنما لإصلاح الجانب التعليمي والنهوض به من خلال تحقيق تعليم متكامل، يضمن لنا بناء مجتمع متقدم يستند على تنويع المناهج التعليمية.

فالتعليم الشامل يعتبر أكثر فاعلية لتحقيق التقدم العلمي، لأن هذا الأخير يتطلب تنويع المعارف والاهتمام بجميع جوانب التعليم.

- **الشدة على المتعلمين:** رفض ابن خلدون الشدة على المتعلمين لما تلحقه من أضرار وخيمة بالمتعلم، كما تعتبر عائقا أمام تكون الملكة العلمية لديه، لهذا يقول ابن خلدون "أن إرهاق الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر يغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة"[2]، وهنا قول ابن خلدون يبين أن هناك عدة أضرار للشدة على المتعلم وتشمل هذه الأضرار الجوانب التعليمية، النفسية، الأخلاقية، الجسدية والدينية.

-**من الناحية التعليمية:** سيكره المتعلم التعليم والمعلم وتمتلأ نفسه حقدا إضافة أن هذا الأمر عائق أمام تكون الملكة يقول ابن خلدون:" أن إرهاق الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة".[3]

-**من الناحية النفسية:** سيتعرض لعدة ضغوطات ومشاكل نفسية وهذا ما جعل ابن خلدون يقول: "وضيق على النفس في انبساطها".[4]

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 540.

[2] المصدر نفسه، ص 541.

[3] المصدر نفسه، ص 541.

[4] المصدر نفسه، ص 541.

-**من الناحية الأخلاقية:** الشدة تجعل المتعلم مضطرا لاختراع الأكاذيب لكي ينجو بنفسه من العقاب وهذا ما يدل عليه قول ابن خلدون:" وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة".[1]

- **من الناحية الجسدية:** إذا تعرض المتعلم للعنف من قبل المعلم، فهذا سيترك آثارا جسدية على المتعلم، لهذا حاليا منع الضرب في المؤسسات.

- **من الناحية الدينية:** عندما يكتسب المتعلم طباع السوء للنجاة من الشدة ستفسد أخلاقه، وهذا الأمر منافي لما جاء به الدين، فديننا يأمر بالتحلي بالخصال الحميدة وليس العكس وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون في قوله أن "الحضري بما قد فقد من خلق البأس بالترف والمربى في قهر التأديب والتعليم فهو لذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه، ثم هو فاسد أيضا في دينه غالبا"[2]، وعندما يفسد دينه ستفسد حياته بأكملها فحسب ابن خلدون:" إذا فسد الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة"[3]، وما نلاحظه هنا أن الأمر انطلق من مجرد شدة ترغم المتعلم على التعلم لكن النتيجة لم تكن كذلك، فالشدة على المتعلم لن يكون لها إلا النتائج السلبية.

لذا ينبغي أن يكون التعليم بدون ضغوط وشدة، فعلى المعلم بدل الشدة على المتعلم أن يراعي قدرات هذا الأخير، وأن يستخدم طرق تعليمية مناسبة تساعده على تنمية مهاراته، وبهذه الطريقة سيحصل المبتغى من التربية والتعليم.

إلى نفس الرأي يذهب علماء التربية المعاصرين وكذا علماء النفس إلى رفض الشدة على المتعلم لما تلحقه من أضرار بالمتعلم خاصة من الناحية النفسية، لهذا منع الضرب في المؤسسات التربوية، وهذا القرار كان نتيجة الواقع المعاش، فالكثير من الحالات التي تعرضت للشدة والقهر في تربيتها وتعليمها، بدلا من اكتسابها المعارف والمهارات، اكتسبت عقدا نفسية وتعرضت للفشل الدراسي.

لذا نرى أن ابن خلدون من خلال رفضه الشدة على المتعلمين أراد أن يكون تعليم المتعلم بطريقة سليمة تجعله هو من يرغب في التعلم، وهذا إنما يحصل من حذق المعلم ومعرفته بتدبير الأمور، إضافة إلى أنه رفضها حفاظا على كينونة المتعلم وعزته.

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص541.

[2] المصدر نفسه، ص349.

[3] المصدر نفسه، ص349.

ويشير ابن خلدون أن هناك حالات استثنائية تستخدم فيها الشدة، وذلك في حالة ما لم تنفع أساليب الترغيب مع المتعلم، وجب على المعلم معاقبته دون أن يتجاوز الحد في العقاب، فالغاية من العقوبة هنا التأديب والإصلاح، فإن تجاوزت الحد سيكون لها نتائج وخيمة على المتعلم من بينها "زرع الخوف في النفس، والمباعدة بين المربي والمربى، فينقطع بذلك الحوار البناء بينهما يفقد المأخوذ بالشدة شيئا فشيئا ثقته بنفسه وشعورا بكرامته".[1]

وفي مقدمة ابن خلدون نجد أن المقدار المحدد للعقوبة أن لا تزيد على ثلاثة أشواط، وذلك فيما يرويه ابن خلدون عن محمد بن أبي زيد من خلال كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين أنه قال:" لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا".[2]

وليس ابن خلدون فقط الذي رفض الشدة على المتعلم، وإنما هذا رأي العديد من المربيين الإفريقيين من بينهم محمد بن سحنون والقابسي وغيرهم إذ "نصحوا بإتباع سياسة اللين مع الريِّضين لما في العقوبة من أضرار نفسانية وجسدية تحيد بها عن غرضها الأصلي في التربية، وهو إصلاح الفرد".[3] وهكذا يتبين لنا أن الأسلوب الأمثل في التربية هو اللين والشدة لا تكون إلا للضرورة القصوى.

تطرقنا في هذا المبحث لنقد ابن خلدون لطرق التربوية التعليمية السائدة في عصره والتي تمثل عائق أمام تكون الملكة العلمية لدى المتعلم، وتمثلت هذه الآراء التي قام بنقدها فيما يلي:

- **الحفظ:** نقد الحفظ الأعمى الذي يورث قصورا في الملكة.
- **الشدة على المتعلمين:** نقدها لانعكاساتها السلبية على المتعلم في جميع جوانبه.
- **كثرة المختصرات المؤلفة في العلوم:** وقد رأى أنها إخلال بتعليم المتعلم لما فيها من تعسير للفهم وخلط الأمور على المتعلم.

[1] أبو حسن علي القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، دراسة وتحقيق أحمد خالد الشركة التونسية، تونس، ط1، 1996، ص37.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص542.

[3] أبو الحسن القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، المرجع السابق، ص37.

- **كثرة التأليف في العلم الواحد:** نقدها انطلاقا من التكرار الوارد في معظمها، إضافة إلى أن المتعلم مطالب بالوقوف على جميعها والإلمام بكل ما جاء فيها في حين أن هذا الأمر غير ممكن إضافة إلى أنه عائق أمام تكون ملكة المتعلم.

- **الاقتصار على تعليم القرآن وحده دون تعليم باقي العلوم:** لم ينقد تعليم القرآن إنما اعتبره أساسا في التعليم، ونقده هنا إنما كان للطريقة التي كان يدرس بها في الأمصار الإسلامية، باستبعاد باقي العلوم في مجال التعليم والاقتصار على تعليمه وحده، وحسب ابن خلدون أن هذا الأمر سيورث قصورا في ملكة اللسان.

كانت هذه هي أهم النقاط التي قام ابن خلدون بنقدها لتأثيرها السلبي على تحصيل المتعلم والتي سيقدم لها حلولا كما سنرى لاحقا، فهل الجديد الذي قدمه ابن خلدون سيعمل على إصلاح واقع التعليم؟

المبحث الثالث: الأسس الفلسفية للتربية عند ابن خلدون.

تعتبر قضية التربية وكذا التعليم من أهم القضايا التي تشغل تفكير العلماء والمفكرين في كل عصر، فمن خلالهما يصلح الفرد والمجتمع وتبنى الحضارات وترقى.

ومن هذا المنطلق فإن البحث والتطوير في مجالي التربية والتعليم يعتبر أمرا ضروريا لضمان تقدم المجتمعات وازدهارها، فتطور الأمم يستند بالضرورة على عملية الإصلاح التي تكون بدايتها إصلاح تربوي تعليمي، باعتبار هذا المجال مركز وأساس لكل المجالات.

وقد كان الفيلسوف الإسلامي ابن خلدون من بين العلماء الذين قاموا بنقد طرق التعليم السائدة في عصره ليقدم حلولا بديلة لما قام بنقده، وهذا النقد انبثق من وعي ابن خلدون بأهمية ودور التعليم في تطوير الأفراد ومن ثم المجتمع.

وباعتبار التربية والتعليم أهم ما يقوم عليه البناء الحضاري، عمل ابن خلدون على تحليل محتوى التعليم والطرائق التي كانت سائدة في عصره وقدم تغييرات جذرية لخدمة وإصلاح هذا المجال.

وهذه التغييرات التي قام بها ابن خلدون بعد نقده للأمور التي اعتبرها عائقا أمام تحصيل المتعلم، كانت بمثابة قطيعة ابستمولوجية سعى من خلالها إلى إعادة بناء المنظومة التربوية السائدة آنذاك، وفقا لما يتماشى مع تطلعات المتعلمين والمجتمع على حد السواء، ولمعرفة البديل الذي قدمه العلامة ابن خلدون نطرح الإشكال الآتي:- فيما تمثلت الأسس الفلسفية للتربية عند ابن خلدون؟ وهل تم تطبيقها في عصرنا هذا؟

- **تعليم الصغر عند ابن خلدون:** من خلال عرض ابن خلدون لآرائه التربوية تطرق لأهمية تعليم الصغر وماله من تأثير على شخصية المتعلم، لأن مرحلة الطفولة مهمة جدا وحساسة ينبغي التعامل فيها مع المتعلم بحذر كبير.

لذا لابد أن يكون تعليم الطفل وتربيته في هذه المرحلة قائم على أسس صحيحة، فالتربية التي يتلقاها في هذه المرحلة ستترسخ فيه وتكون بمثابة أساس لما بعدها، كما أن طبيعة الطفل تكون "مرنة قابلة للإصلاح والتهذيب لأن الصغير أسلس قيادة وأحسن مواتاة وقبولا فتسهل تربيته".[1]

[1] أبو الحسن علي القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، مرجع سابق، ص30.

ونظرا للأهمية الكبيرة لتعليم الصغر عند ابن خلدون، يرى أن الملكات التي تتكون لدى الإنسان في صغره تكون أشد رسوخا وتعتبر أصلا لما بعدها وهذا ما يدل عليه قوله "أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه"[1]، وقوله إنما يدل على ضرورة الحرص على تربية الصغار على الخصال الحميدة والعمل على مراقبتهم باستمرار وهذه المهمة ملقاة على عاتق الولدين "فمن عود ابنه الأدب والأفعال الحميدة والمذاهب الجميلة في الصغر حاز بذلك الفضيلة، ونال المحبة والكرامة وبلغ غاية السعادة".[2]

وعلى العكس من ذلك عندما تغيب التربية الصحيحة سيؤدي ذلك إلى دمار الأفراد ومن ثم المجتمعات.

ولما كان تعليم الصغر مهما حسب ابن خلدون، أكد هذا الأخير على ضرورة تعليم القرآن كصغار هذه المرحلة، لأن "القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من ملكات"[3]، وبما أن تعليم القرآن سيكون أصلا لما بعده، فهو بهذا المربى الأول لما فيه من تعاليم وإرشادات تعمل على تقويم سلوك الطفل وتهذيب روحه واستقامة فكره وضبط تصرفاته ومعاملاته مع الآخرين وغيرها من الإيجابيات التي تحصل عن تعليم القرآن، فقد قال أحد السلف "علم ولدك القرآن والقرآن سيعلمه كل شيء".

وابن خلدون هنا أكد على هذا الأمر، إلا أنه قال بضرورة تعليم مواد أخرى مع القرآن حتى تتكون ملكة لدى المتعلم.

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 539.

[2] أبو حسن القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، المرجع السابق، ص 30.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 539.

البدء بالمحسوسات في التعليم: لقد أكد ابن خلدون أن التعليم إنما يكون بالمحسوسات أولا، لأن الطفل في صغره يكون عاجزا عن إدراك الأمور المجردة، لذا يجب أن يكون تعليمه بطرق تتناسب مع قدراته العقلية.

فوعي ابن خلدون بأهمية هذه الطريقة ودورها الفعال في حصول ملكة لدى المتعلم انبثق من معرفته بالتركيبة الإنسانية وحدود قدرتها في المراحل الأولى من التعليم، بمعنى أن الإنسان يكون جاهل بجميع الأمور والمعارف واكتساب هذه الأخيرة إنما يكون بالتعليم التدريجي أي أن نبدأ بالمحسوس أولا ثم ينتقل إلى المجرد وهذا ما يقل عليه قول ابن خلدون "أن النفس الناطقة للإنسان إنما توجد فيه بالقوة، وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والإدراكات عن المحسوسات أولا، ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكا بالفعل وعقلا محصنا".[1]

ولهذا أكد ابن خلدون على التعلم بالمحسوس أولا، "وهو في هذا لا يختلف كثيرا عن ما قاله كل من ماريا منتسوري، وأوفيد دكرولي اللذان أكد على أهمية التربية الحسية".[2] وبالتالي نجده سباقا قبل هؤلاء في طرح هذه الفكرة والتأكيد على ضرورة العمل بها.

كما أنه كان سباقا قبل أنصار النزعة الحسية في العصر الحديث في قوله أن التعلم إنما يكون بالمحسوس، فهذا بالضبط ما ذهب إليه أنصار المذهب الحسي بقولهم أن المعرفة مصدرها الحس.

وحاليا، فتعليم الطفل يخضع لهذه القاعدة فإذا أردنا تعليمه الرياضيات مثلا فلن يستوعبها إلا إذا تعلمها عن بطريقة حسية.

وما هو سائد في رياض الأطفال اليوم هو التعليم الحسي، وذلك من خلال استخدام الصور والعجين ومختلف الوسائل التي يستطيع الطفل من خلالها تعلم العديد من الأمور بالمشاهدة والتجريب...الخ.

– **التدرج:** اعتبارا للنظرة الإصلاحية التي نظر بها ابن خلدون إلى التعليم، رأى أن هذا الأخير لا يكون دفعة واحدة إنما تدريجيا، لأن التدرج في التعليم يلعب دورا هاما في بناء

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 399.

[2] بومانة محمد، الملكة العلمية عند ابن خلدون، المرجع السابق، ص 226.

شخصية المتعلم وتنمية مهاراته لما فيه من مراعاة لقدرات المتعلم الذاتية، وإن كان على العكس من ذلك فسينعكس سلبا على التحصيل العلمي للمتعلم.

لذا نجد ابن خلدون يولي أهمية بالغة لهذا الأمر، اعتبارا أنه أصوب الطرق لما له من دور في تكون الملكة العلمية لدى المتعلم وفي هذا الصدد يقول" اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة"[1]، وهنا ابن خلدون يوضح أهمية التدرج في تشكيل المعرفة الأساسية لدى المتعلم كتمهيد لفهم ذلك العلم.

وبعد ذلك ينتقل المتعلم إلى مرحلة أخرى ليستوفي ما تبقى من ذلك العلم، وهذا ما دل عليه قول ابن خلدون "ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ومن ثم يستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له، ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتوجد ملكته"[2].

ومنه نستنتج أن تطبيق هذه الطريقة في التعليم تعتبر من الضروريات حسب رأي ابن خلدون، وليس هذا فحسب وإنما هذه النقطة يتفق عليها العديد من العلماء المعاصرين بحيث نجد تركيزهم على مسألة التدرج كبير جدا، فحسبهم أن تعليم المتعلم ينبغي أن يكون تدريجيا من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المعقد، وذلك ليكون بإمكان المتعلم استيعاب الأمور الأساسية والتمكن منها، فمتى ازداد الضغط على المتعلم سيحصل لديه خلط كبير في العلم الذي يتلقاه، وإن كان تعليمه شيئا فشيئا فهذا سيساهم في تطوير قدراته بالتدريج للوصول إلى مستويات أعلى من المعرفة، لأن العقل بطبيعته لن يستطيع استيعاب كل المعارف دفعة واحدة إلا نادرا.

– **الحوار**: يعتبر الحوار طريقة فعالة في بناء مجتمع راقي، إذ يستطيع أفراد المجتمع من خلاله مناقشة العديد من القضايا بطريقة هادئة للوصول إلى حل للعديد من المشكلات وإجابة للكثير من الأسئلة التي تشغل بالهم.

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 536.

[2] المصدر نفسه، ص 536.

ومن خلاله يتم تبادل الخبرات والمعارف بين الأشخاص، ومن أهم القطاعات التي هي بحاجة إلى الحوار المؤسسات التربوية.

يعمل الحوار في المؤسسة التربوية وخاصة داخل القسم، على رفع مستوى المتعلمين لأن "التعليم والتعلم الحواري من عوامل التعلم الفاعل، حيث تتفاعل العقول والوجدانات والقيم بين المعلم والمتعلم"[1]، فالحوار هنا سيجعل المتعلم فطن متمكن ذلك لأن ثقافة السؤال وكذا تبادل الآراء ستجعله يلاحظ أمور ربما لا يستطيع ملاحظتها أثناء الإصغاء والحفظ، لذا نجد أن "الحوار الجاد يكون بيئة للتفكير اليقظ الناقد ويولد آفاق التخيل والإبداع".[2]

ولما كان للحوار أهمية كبيرة، جعله ابن خلدون أحد أسس التعليم وكبديل لطريقة الحفظ الشائعة في زمأنه، وهنا نجده شديد الحرص على أن تطبق هذه الطريقة في مجال التعليم لما لها من عوائد إيجابية في التحصيل العلمي لدى المتعلم وتكون ملكته العلمية، لأنه يعمل على تنمية قدرات المتعلمين العقلية والتحليلية، وكذلك تكمن أهميته في كونه طريقة تحفيزية تحدث رغبة لدى المتعلم في التعلم.

وحرص ابن خلدون على طريقة الحوار ليس عبثا، وإنما لفاعليتها في تعزيز العملية التعليمية، وكبديلا للطرق السلبية السائدة آنذاك، من بينها الحفظ كما أشرنا، ففي حديثه عن الحفظ والقصور الذي يحصل في الملكة بسببه يضيف أن من نتائجه قلة الحوار وربما انعدامه وعسر حصول الملكة وعدم التمكن من العلوم، لذا يقول ابن خلدون في شأن حصول ملكة للمتعلم في العلم الذي يتلقاه أن "أيسر طرق هذه الملكة قوة اللسان كالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرماها"[3]، إذن فالحوار له أهمية بالغة في صناعة تعليم راقي من جهة، وتنمية فكر المتعلم من جهة أخرى.

---

[1] حسن شحاتة، تقديم حامد عمار، التعليم دعوة للحوار في الوطن العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006، ص 40.

[2] المرجع نفسه، ص 40.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 402.

- تجنب إلقاء الغايات في البدايات:

لقدر أشار ابن خلدون إلى أن ظاهرة الخلط بين البدايات في التعليم وغاياته أمر سلبي لأنه يعتبر جهل بطرق التعليم ينبغي تجنبه وذلك لما له من سلبيات على تحصيل المتعلم، وهذه الطريقة مرتبطة ارتباطا وثيقا بقانون التدرج الذي قال به ابن خلدون.

يرى ابن خلدون هنا أن مطالبة المتعلم بإنجاز المسائل المقفلة في أول تعليمه لن ينتج عنه سوى خلط الأمور على المتعلم وفي هذا الصدد يقول عن المعلمين الذين يدرسون على هذا النحو بأنهم "يحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله فيخلطون عليه بما يلقون من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا"[1]، لذا يجب على المعلم أن يبدأ خطوة بخطوة فغالبا ما تكون البدايات سهلة على المتعلم.

واعتبارا لسهولة البدايات على المتعلم ينبغي على المعلم مرافقة وتوجيه هذا الأخير تدريجيا إلى أن يصل إلى غايات ذلك الفن انطلاقا من خطة منهجية يعدها مسبقا يحدد من خلالها الأهداف التي ينبغي الوصول إليها في هذا الفن، فبدلا من إلقاء هذه الغايات في بداية التعليم، ينبغي تعليم المتعلم استراتيجيات يتمكن من خلالها من اكتشاف أهداف وغايات ذلك العلم من خلال عملية التفكير وكذا الحوار.

إضافة إلى أن الوصول إلى الغايات في علم ما إنما يكون أولا بفهم أساسياته والتعامل مع مختلف القضايا المتعلقة بهذا الفن، لأن هذا الأخير بمثابة سلسلة متصلة الحلقات ترتبط قضاياه ارتباطا وثيقا ببعضها البعض، لذا لا بد من الانتقال فيها من أمر لآخر إلى غاية الوصول إلى الأهداف في ذلك الفن انطلاقا من خطة منهجية يعدها مسبقا يحدد من خلالها الأهداف التي ينبغي الوصول إليها في هذا الفن بدلا من إلقاء هذه الغايات في بداية التعليم ينبغي تعليم المتعلم استراتيجيات يتمكن من خلالها من اكتشاف أهداف وغايات ذلك العلم من خلال عملية التفكير وكذا الحوار.

[1] حسن شحاتة، تقديم حامد عمار، التعليم دعوة للحوار في الوطن العربي، المرجع نفسه، ص 536.

إضافة إلى أن الوصول إلى الغايات في علم ما إنما يكون أولا بفهم أساسياته والتعامل مع مختلف القضايا المتعلقة بهذا الفن لأن هذا الأخير بمثابة سلسلة متصلة الحلقات ترتبط قضاياه ارتباطا وثيقا ببعضها البعض، لذا لا بد من الانتقال فيها من أمر لأخر إلى غاية الوصول إلى الأهداف في ذلك الفن، وإن كان العكس فسيعجز المتعلم عن الفهم والوعي فمتى خلطت الغايات مع البدايات على المتعلم واجه صعوبة في ذلك العلم وإن كان كذلك ستجد المتعلم "تكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه"[1]، وهذه النتائج ليست المبتغى من التعليم. لذا نجد ابن خلدون يرى أن الأصوب في التعليم الإقلاع عن هذه العادة السيئة.

- تجنب الإطالة في تدريس العلم وتقطيع مجالسه:

يرى ابن خلدون أن الإطالة في تدريس العلم وكذا تقطيع مجالسه سببا في نسيان المتعلم للعلم الذي يتعلمه، وعائقا أمام تكون الملكة العلمية لديه، لأن "الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال"[2]، وتتابعها.

كما أن هذا الأمر سيؤدي بالمتعلم إلى فقدان الشغف في التعلم، في حين أن الاستمرارية ستساهم في اهتمام المتعلم بالعلم الذي يأخذه، من خلال دوام البحث في مسائله والإطلاع على كل ما فيه.

لهذا تعد الاستمرارية من أهم شروط التحصيل العلمي لدى المتعلم، ويؤكد ابن خلدون على الحذر من الإطالة في تدريس العلوم وتقطيع مجالسها لما لها من سلبيات كثيرة، لعل أهمها تعب المتعلم وكسله في تعلم هذا العلم إضافة كرهه للتعلم بصفة عامة وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون "ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتقطيع المجالس وتفريق ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها.[3]

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 536.

[2] المصدر نفسه، ص 555.

[3] المصدر نفسه، ص ص 536، 537.

- الرحلة في طلب العلم:

تعتبر الرحلة في طلب العلم من أهم الأمور التي ينبغي على المتعلم فعلها، لأنها كمالا في التعليم وذلك لأن التعليم بالمباشرة سيكون أشد استحكاما ورسوخا وهذا ما يعبر عنه قول ابن خلدون "أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما أقوى رسوخا"[1]، وذلك ناتج عن لقاء المشايخ والتعرف على مناهجهم وطرقهم مما سيزيد من الزاد المعرفي للمتعلم وتطوير أسلوبه بتلقيه الجديد.

لذا نجد ابن خلدون يؤكد على ضرورة الرحلة في التعليم وهذا من خلال قوله:"فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2]، وأصول الكمال هنا إنما يكون بتعرفه على مناهج الجديدة، وتلقيه معارف ربما كان يجهلها.

كما أن الرحلة في طلب العلم كانت سائدة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يقطعون مسافات طويلة للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل أخذ العلم عنه، وحتى بعد وفاته استمروا على هذه الحال في سبيل الحصول على حديث نبوي واحد، وهذا أكبر دليل على أهمية الرحلة في التعليم والسعي للحصول على المزيد وإلا لماذا يتحملون مشقة وأعباء السفر.

ولا تزال الرحلة في طلب العلم ضرورية حتى في عصرنا الحالي، فبالرغم من التكنولوجيا المتطورة التي يشهدها هذا العصر، إلا أن العديد من المهتمين بالجانب العلمي لا يستطيعون التخلي عنها والاكتفاء بالخدمات التي تقدمها التكنولوجيا، وحتى ما هو منتشر في المدارس حاليا من رحلات تعليمية ترنو إلى نفس الهدف الذي كان سائدا من قبل بحيث نجدها تسعى "لتحقيق هدف تعليمي يرتبط بالمنهج ويحقق هدفا تعليميا مرسوما".[3]

كما تسعى هذه الرحلات كذلك إلى "تزويد التلاميذ بخبرات يصعب الحصول عليها خلال طرق التدريس العادية، وغالبا ما تنشأ هذه الخبرات من مواقف مباشرة للتعلم"[4]، ومسألة

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 542.

[2] المصدر نفسه، ص 542.

[3] عبد الطيف بن حسين فرح، التدريس الفعال، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، ص 172.

[4] المرجع نفسه، ص 174.

المباشرة في التعلم هو ما أكد عليه ابن خلدون من خلال حديثه عن دور الرحلة في طلب العلم.

وليس هذا فحسب ما يعبر عن استمراريتها، فحتى المعارض الدولية التي تقام سنويا التي تشهد إقبالا كبيرا من قبل طلاب العلم، لخير دليل على أن الرحلة ضرورية في طلب العلم لما لها من منافع جمة كما ذكر ابن خلدون.

- تطرقنا في هذا المبحث إلى الأسس الفلسفية للتربية عند ابن خلدون، والتي من خلالها أعاد هذا الأخير إصلاح وبناء المنظومة التربوية السائدة في عصره، وهذا التغيير لم يكن عبثا إنما لبناء مجتمع متطور الذي يستند بدوره على صلاح الأفراد من خلال عملتي التربية والتعليم، وتمثلت هذه الأسس باختصار فيما يلي:

- **تعليم الصغر:** أكد ابن خلدون على أهمية وضرورة تعليم الصغر وذلك لما له من رسوخ، لذا ينبغي تنشئة الأطفال على الخصال الحميدة واستخدام اللين والرفق معهم والعمل على إرشادهم من خلال متابعتهم باستمرار وتعليمهم ما ينفعهم وليس العكس، لأن ما يتلقاه الطفل في هذه المرحلة ستبنى عليه شخصيته.

- **البدء بالمحسوسات:** رأى ابن خلدون أن التعليم يكون بالمحسوس أولا لأن الطفل في بدايته لن يستطيع وعي الأمور العقلية المجردة وهذه النقطة مرتبطة بتعليم الصغر كذلك، لأنها من بين الأساليب أو القوانين التي ينبغي الوقوف عليها في تربية وتعليم الأولاد.

- **الحوار:** من خلاله تتكون الملكة العلمية لدى المتعلم بشكل ممتاز، لأن الحوار له قدرة كبيرة على بناء شخصية المتعلم، بحيث يتيح له الفرصة لإبداء رأيه وتبادل الآراء مع معلمه وزملائه.

- **التدرج:** ينبغي حسب ابن خلدون وكذا العديد من علماء التربية خاصة المعاصرين، أن يكون التعليم تدريجيا بالانتقال من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المعقد.

- **عدم خلط البدايات والغايات:**

لأن البدايات عادة ما تكون سهلة مبسطة على عكس الغايات التي تعتبر كنتيجة ينبغي التوصل إليها في الأخير، فليس منطقيا تقديم النتيجة في بداية الدرس، وهذا ما جعل ابن خلدون يعتبر هذا الأمر عائقا أمام تحصيل المتعلم وتكون ملكته لذا ينبغي تجنبه.

- **تجنب الإطالة في تدريس العلم وتقطيع مجالسه:**

وذلك لما يحدث من نسيان بسبب تقطيع المجالس، ما جعل ابن خلدون يؤكد على ضرورة تجنبها.

- **دور الرحلة في التعليم:**

لها دور كبير في التحصيل العلمي للمتعلم لأنها تعلمه العديد من الأمور من بينها: السعي في طلب العلم، الاجتهاد، إضافة إلى تزويده بالجديد من خلال لقاء المشايخ والمعلمين، كذا حصوله على مختلف المصادر والمراجع في شتى العلوم.

- إضافة إلى أن ابن خلدون أراد أن يشير إلى أمر مهم من خلال حديثه عن الرحلة في التعليم وهو ضرورة التتلمذ من خلال الذهاب إلى العلماء والمشايخ وتلقي العلم من عندهم، فعملية التتلمذ لا تقارن بالتعليم الفردي لما ينتج عنه من كسل ومماطلة وغيرها على عكس حضور مجالس العلماء، إضافة أن هذا الأمر سيعلم المتعلم احترام الآخرين.

- كانت هذه هي أهم النقاط التي قال بها ابن خلدون في إصلاحه للمنظومة التربوية في عصره، منها ما تم تطبيقه ومنها ما لم يطبق ولو طبقة كلها لصلحت منظومتنا التربوية.

خلاصة:

تم التطرق في هذا الفصل لفلسفة التربية عند العلامة عبد الرحمن بن خلدون وتوصلنا إلى ما يلي:

انطلق ابن خلدون في حديثه عن التربية من تقسيمه للعقل إلى ثلاث مراتب عقل (تمييزي، تجريبي، نظري)، وما يحدد الفرق بينهم وظيفة كل عقل كما أشرنا سابقا، أما عن علاقة العقول بالتربية، ذلك لأن الذي نقوم بتربيته هنا هو الإنسان فهو الكائن الوحيد الذي يحتاج إلى تربية وبما أنه كذلك ميزه الله تعالى عن الحيوان بصفة التعقل، والعقل هنا هو ما يضمن لنا وعي واستيعاب المتعلم لما يتلقاه، إضافة إلى أن العقل مصدر المعارف والعلوم بجميع تصنيفاتها التي قال بها ابن خلدون.

قام ابن خلدون بنقد طرق التربية والتعليم السائدة في عصره واعتبرها عائقا أمام تكون الملكة العلمية لدى المتعلم، باعتبار أن أساس التعليم عند ابن خلدون هو تكوين ملكة لدى المتعلم، وتمثلت هذه العوائق التي نقدها ابن خلدون في الآتي (الحفظ، الشدة على المتعلمين، طريقة الاختصارات، كثرة التأليف في العلم الواحد، الاقتصار على تعليم القرآن وحده).

قدم ابن خلدون حلولا بديلة لما قام بنقده واعتبر هذه الحلول السبيل إلى تكون ملكة علمية لدى المتعلم وبناء شخصيته وتمثلت في (تعليم الصغر، البدء بالمحسوسات، الإطالة في تدريس العلوم، وتقطيع مجالسه، عدم خلط البدايات مع الغايات، دور الرحلة في التعليم).

كانت هذه أهم النقاط التي وقفنا عليها في هذا الفصل والتي سعى ابن خلدون من خلالها إلى إصلاح المنظومة التربوية السائدة في عصره، والحلول التي قدمها ليست صالحة لما كان سائدا في عصره فقط، بل صالحة لمعالجة الأمراض الفتاكة التي أصابت منظومتنا التربوية.

فتراجع التعليم في وقتنا الراهن،سببه الأساسي هو تجاهل قيمة هذا المجال بالرغم أنه مركزا وأساسا لباقي المجالات، وهذا الأمر جعلنا نستورد من الغرب ثقافتهم ومناهجهم التربوية ونعمل على تطبيقها، في حين أن علاج الأمور السلبية في المنظومة التربوية في عالمنا الإسلامي يحتاج إلى وصفة عربية، كتطبيق آراء العلامة ابن خلدون، لأن أفكاره لا تخدم عصره فحسب إنما طرحها لتكون صالحة لكل زمان ومكان من فرط نظرته المستقبلية.

الفصل الثالث:

فلسفة التربية عند أوغست كونت

- **المبحث الأول: تصنيف العلوم عند أوغست كونت**
- **المبحث الثاني: الأسس الفلسفية للتربية عند أوغست كونت**
- **المبحث الثالث: التربية الديناميكية عند أوغست كونت**

- حاول أوغست كونت كغيره من فلاسفة عصره إصلاح الوضع السائد في مجتمعه الناتج عن الاضطرابات الحاصلة عن مخلفات الثورة الفرنسية، وكذا الثورة الصناعية في أوروبا ككل.

وعملية التغيير عادة ما تبدأ بالجانب التربوي باعتباره مركزا لباقي الجوانب، لذا يمكننا اعتبار فكر كونت بمثابة قطيعة ابستيمولوجية، بما أن فكره كان ثورة ضد التفكير القديم الذي كان مهيمنا على شتى جوانب الحياة الاجتماعية، بما في ذلك مجالي التربية والتعليم، ليقدم لنا كونت فلسفة وضعية إصلاحية للوضع المزري آنذاك.

فقد اهتم أوغست كونت بإصلاح الجانب التربوي وباقي المجالات من أجل ضمان تطور المجتمع واستقامة فكر أفراده، بتبنيهم التفكير الوضعي وعزوفهم عن التفكير الميتافيزيقي واللاهوتي الذي قال بضرورة تجاوزهم، وللتعرف على أفكار أوغست كونت التي قال بها من اجل إصلاح مجال التربية نطرح الإشكال التالي: فيما تمثلت الأسس التربوية عند أوغست كونت؟

المبحث الأول: تصنيف العلوم عند أوغست كونت.

تحتل إشكالية تصنيف العلوم مكانة هامة عند العلماء والفلاسفة، وذلك لأنها تعتبر البوصلة الموجهة لما ينبغي أن تكون عليه الإنسانية من الناحية المعرفية، وقد تعددت تقسيمات العلوم على مر العصور عند الفلاسفة، ومن بين الذين صنفوا العلوم الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت وعليه نتساءل: كيف صنف أوغست كونت العلوم؟ وما محل علم الاجتماع من هذا التصنيف؟

1-تصنيف العلوم عند أوغست كونت:

قدم أوغست كونت كغيره من الفلاسفة الذين صنفوا العلوم، تصنيفا يتماشى مع نزعته الفلسفية، حاول من خلاله بلوغ المرحلة الوضعية، ويسمي أوغست كونت هذا التصنيف "بعبارة أدق اسم التدرج الوضعي للعلوم الأساسية"[1]، وتصنيفه للعلوم لم يكن عبثا إنما لبلوغ غاية مهمة تجسدت في رغبته "أن يدرس رقي التفكير الوضعي من خلال الأنواع المتتابعة للظواهر"[2].

لقد ميز كونت في تصنيفه للعلوم بين صنفين من العلوم صنف نظري وآخر عملي و"الصنف الأول بالضرورة يسبق الثاني المخصص للتوجيه وبعبارة أخرى ليس هناك من فعل بدون تأمل يمهد له"[3]، فالعلوم النظرية عند كونت مهمتها هي توجيه العلوم العملية.

وهذا النوع من الفصل إنما يوحي عن اختلاف الموضوعات التي تختص بدراستها العلوم النظرية عن تلك التي تدرسها العلوم العملية.

والهدف من تقسيمه هذا هو توضيح المهمة الأساسية للعلوم النظرية المتمثلة في معرفة القوانين التي تدرس الظواهر، وما يبرر هذا أن كونت "لم يدخل في تصنيفه سوى العلوم النظرية المجردة، أي تلك التي لا تهدف إلى شيء آخر سوى معرفة القوانين، والتي تدرس الظواهر بغض النظر عن الكائنات الخاصة التي تتمثل فيها هذه الظواهر"[4].

---

[1] ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، المرجع السابق، ص49.

[2] المرجع نفسه، ص50.

[3] بيار ماشيري، كونت الفلسفة والعلوم، تر: سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1 1994، ص82.

[4] ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، المرجع السابق، ص ص 49-50.

ومن خلال هذا التصنيف يذهب كونت إلى تسمية هذه العلوم بالعلوم الأساسية، ذلك "لأن العلوم الأخرى تفترض وجودها، في حين أنها لا تفترض وجود هذه العلوم الأخرى قبلها"[1] بالرغم من أنها تعتبر أساسا لها.

والأهمية الكبرى التي يوليها كونت لهذه العلوم تتلخص في كونها "العلوم الوحيدة التي تعد ملاحظتها هامة بالنسبة إلى الهدف الذي وضعه كونت نصب عينيه"[2]، والمتمثل في "استخراج الشروط الموضوعية لتنظيمها"[3]، فلم يكن همه الفصل بين هذين الصنفين بقدر ما كان همه استخراج تلك الشروط وتوضيح ضرورة المرور من النظري إلى العملي.

والهدف الأسمى لدى كونت من هذا التصنيف هو الوصول إلى تأسيس العلم النهائي أي علم الاجتماع، والذي ينتج بالضرورة عن التطور الذي تمر به هذه العلوم.

وتصنيفه للعلوم الأساسية كان انطلاقا من أبسطها إلى أكثرها تعقيدا، وأكثر العلوم تعقيدا حسبه هي الفيزياء الاجتماعية كما سيأتي ذكره.

واعتبارا أن كونت قام بتصنيف العلوم من أجل تحقيق التنظيم العقلي، فقد سعى من خلال هذا التصنيف أن يرسم الصورة النهائية التي ينبغي أن تكون عليها المعرفة الإنسانية ببلوغ هذه العلوم المرحلة الوضعية إبان فترة تطورها.

وقد أشرنا سابقا أن كونت يميز بين علوم نظرية وأخرى عملية أو بعبارة أخرى بين علوم مجردة وأخرى ملموسة، وعليه كان لهذا التصنيف مبدأ أساسي وهو استخلاص "علاقة العام بالخاص"[4].

وقد كان تصنيف أوغست كونت للعلوم على النحو الآتي بالتسلسل "علم الأجسام الخام وعلم الأجسام المتعضية، الفيزياء الفلكية والفيزياء الأرضية، الفيزياء بحصر المعنى والكيمياء، الفيزياء العضوية والفيزياء الاجتماعية"[5].

---

[1] ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، المرجع السابق، ص50.

[2] المرجع نفسه، ص50.

[3] بيار ماشيري، كونت الفلسفة والعلوم، المرجع السابق، ص82.

[4] المرجع نفسه، ص77.

[5] المرجع نفسه، ص78.

وأول هذه العلوم هو الرياضيات وبالتالي سيكون التصنيف على هذا النحو: الرياضيات الفلك، الفيزياء، الكيمياء، بيولوجيا، وأخيرا علم الاجتماع.

وبالتالي ستكون "الرياضيات مفتاح العلوم جميعا أما علم الاجتماع فهو آخرها وتاجها جميعا".[1]

وقد صنف كونت العلوم على هذا النحو على حسب درجة تعميمها وتجريدها على نحو تنازلي، وصعودا بحسب درجة تعقيدها وتشابكها.

فالعلم الأول "أكثر عمومية في تطبيقه من العلوم التي تليه، تأتي الرياضيات أولا، والتي تنطبق على كل شيء وتعمل كأداة للعلوم الأخرى ثم يليها كل من علم الفلك الذي ينطبق على كل الأجسام، وعلم الفيزياء والكيمياء التي تنطبق على الظواهر الطبيعية، ثم البيولوجيا التي لا تهتم إلا بالكائنات الحية، وآخر السلم علم الاجتماع الذي ينحصر في دراسة البشر"[2].

وبالتالي فأكثرها تعميما كما رأينا هي الرياضيات وتقل نسبة التعميم نزولا شيئا فشيئا إلى أن تصل إلى السوسيولوجيا التي تنحصر في دراسة البشر فقط، أما صعودا فيكون علم الاجتماع أكثر العلوم تعقيدا تليه البيولوجيا في نسبة تعقيدها وتتناقص نسبة التعقيد والتشابك صعودا وصولا إلى الرياضيات.

وبالتالي فالرياضيات " كعلم أول يفحص أشد الظواهر عموما وأقلها تركيبا وأشدها تجريدا وأكثرها بعدا عن الإنسانية وتأثر هذه الظواهر في جميع الظواهر الأخرى، دون أن تتأثر بها"[3].

أما عن العلم الأخير، علم الاجتماع فهو يدرس كما ذكرنا "أشد الظواهر خصوصا وأكثرها تركيبا وأشدها اهتماما بالأمور الحسية، وهي أكثرها أهمية من الوجهة المباشرة للإنسانية وهي تتوقف إما قليلا أو كثيرا على جميع الظواهر السابقة لها"[4].

---

[1] حسام الدين فياض، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الوضعي"انك تدرس لكي تضبط"، المرجع السابق، ص109.

[2] بوغالم جمال، إشكالية تصنيف العلوم بين التقليد الفلسفي والتأسيس العلمي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية مج15، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف الجزائر، العدد01، 2023، ص260.

[3] المرجع نفسه، ص260.

[4] المرجع نفسه، ص260.

كما يظهر كذلك أن هذا التصنيف الذي صنفه كونت كان وفق ظهور هذه العلوم تاريخيا فمن ناحية ظهورها فإن "الرياضيات هي أول العلوم، فقد توصل إليها اليونانيون، ثم تلاها علم الفلك الذي ظهر على يد كوبرنيكوس، وغاليلو، ثم الفيزياء التي ظهرت في القرن السابع عشر عند نيوتن والكيمياء عند لافوازييه، ثم علم الأحياء في القرن التاسع عشر عند روبرت هوك وداروين، وأخيرا علم الاجتماع في القرن التاسع عشر على يد أوغست كونت"[1]، وهكذا يكون هذا التصنيف مطابقا ربما لظهور هذه العلوم تاريخيا.

ونجد كذلك أن كونت كان لديه اهتمام وميول للرياضيات قبل تصنيفه هذا لأن " العلوم الرياضية هي الموضوعات الأولى التي اهتم بها تفكيره اهتماما جديا"[2] وهذا ربما له علاقة بمكانها في هذا التصنيف.

هذا فيما يخص الأصناف الستة التي ذكرناها، أما العلوم الأخرى فيرى كونت أنها "إما مجرد تطبيق لعلم آخر، كالطب الذي هو تطبيق للفيزيولوجيا، أو مجرد علوم في الظاهرة، لا في الحقيقة والواقع، كالنحو واللغة أما علم النفس فليس علما مستقلا، لأن موضوعه تتقاسمه الفيزيولوجيا والسوسيولوجيا"[3]

وقد اهتم كونت كذلك بعلم الحياة فنجده يشبه البناء الاجتماعي بجسم الكائن الحي الذي يحتوي على مجموعة من الأعضاء، يؤدي كل عضو وظيفة مهمة، وهذه الوظائف عند اتحادها تشكل تكاملا وتناسقا فيما بينها، نفس الأمر بالنسبة للمجتمع فهو الأخر يتكون من العديد من الأفراد الذين يعيشون في نطاقه وفق روابط معينة يؤدي كل فرد وظائفه وباتحاد وظائف جميع أفراد المجتمع سيتم بناء هذا الأخير بفعل ذلك التعاون والانسجام والتكامل الحاصل عن تقسيم العمل، وهذا ما يجعل الإنسانية كيانا واحدا نحو التقدم حسب كونت.

أما عن دراسة هذه العلوم بالنسبة لكونت ينبغي أن تكون شاملة ومتكاملة، بمعنى على الباحث في دراسته لأي علم من هذه العلوم أن يكون مطلعا على العلوم التي سبقته وإن لم يحصل هذا الأمر سيكون هذا عائقا أمام التطور الفكري، فحسب تعبير كونت أن" الفيزيائيين

---

[1] حسام الدين فياض، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الوضعي"انك تدرس لكي تضبط"، المرجع السابق، ص109.

[2]

[3] بلعز كريمة، الوضعية المنطقية والعلم المعاصر: وضعية أوغست كونت، مجلة لوغوس، جامعة وهران، العدد02 2014، ص151.

الذين لم يدرسوا الفلك على الأقل بنظرة عامة، الكيميائيين الذين لم يدرسوا مسبقا علم الفلك قبل التفرغ لعلمهم الخاص، ثم الفيزياء والكيمياء، قد خرقوا أحد الشروط الأساسية لتطورهم الفكري"[1].

وهكذا قد أكد كونت على أهمية الاطلاع على جميع العلوم، حتى يتسنى للدارس معرفة ما يجري في العلوم الأخرى، وإن "بقيت العلوم غارقة في تخصصها، بعيدة عن بعضها، لا يدري المختص في إحداها ما يجري في الأخرى"[2]، سيحدث قصور وشتات في المعرفة التي يتلقاها الباحث في العلم الذي يدرسه.

وأكثر العلوم التي تحتاج فعلا إلى الاطلاع على باقي العلوم التي سبقتها هو علم الاجتماع، فكما أشرنا أن حصر الدارس معرفته في مجال واحد دون الاطلاع على باقي المجالات سببا في عدم التطور الفكري.

لذا يرى كونت أن هذا الأمر ينطبق "بشكل أكبر على العقول التي ترغب في الانخراط في دراسة الظواهر الاجتماعية الايجابية، دون أن يكونوا قد اكتسبوا معرفة عامة أولا في علم الفلك والفيزياء والكيمياء والفيزيولوجيا"[3].

فالدارس لعلم الاجتماع حسب كونت ينبغي أن يكون مطلعا على هذه العلوم، بما أنه متجه لدراسة المجتمع وظواهره والتي ستكون مرتبطة بالعديد من المجالات.

وتحتاج هذه العلوم كذلك إلى فلسفة توجهها وهي فلسفة العلوم، وهذه الأخيرة "عبارة عن نظرة وحيدة تركيبية معا يلقيها المرء على جميع العلوم، وعلى القوانين التي تكشف عنها والمناهج التي تستخدمها، والغايات التي يجب أن تسعى إليها. إن فلسفة العلوم بهذا المعنى هي البديل العلمي الوضعي للفلسفة الميتافيزيقية"[4].

وهكذا ستكون فلسفة العلوم حسب هذا الرأي السبيل للتخلص من التفكير الميتافيزيقي وبلوغ التفكير العلمي.

- كانت هذه هي أهم النقاط التي تم التطرق إليها فيما يخص تصنيف العلوم عند كونت.

---

[1] Auguste comte, cœurs de philosophie positive, philosophie, sd, p135

[2] بلعز كريمة، الوضعية المنطقية والعلم المعاصر: وضعية أوغست كونت، المرجع السابق، ص152.

[3] Auguste comte, cœurs de philosophie positive, op.cit, p135.

[4] بلعز كريمة، الوضعية المنطقية والعلم المعاصر: وضعية أوغست كونت، المرجع السابق، ص152.

- يمكننا تلخيص ما توص لنا إليه في تصنيف العلوم عند كونت فيما يلي:

– سعى كونت من خلال تصنيفه للعلوم الوصول إلى التفكير الوضعي على مستوى العلوم، وتأسيس علم جديد لدراسة المجتمع بطريقة علمية وهو علم الاجتماع.

– ميز كونت بين صنفين من العلوم: صنف نظري وآخر عملي، وقد أطلق على العلوم النظرية اسم العلوم الأساسية وأولى لها أهمية كبيرة، كما اعتبر باقي العلوم التي لم تدخل في التصنيف إما أن تكون تطبيقا لعلم آخر أو أنها علوم في الظاهرة لا في الحقيقة.

– صنف كونت العلوم بشكل تنازلي حسب درجة تعميمها وصعودا حسب درجة تعقيدها وتشابكها، وبهذا تكون الرياضيات كعلم أول أكثر العلوم تعميما في حين أن علم الاجتماع أكثرها تعقيدا.

– فيما يخص دراسة هذه العلوم قال كونت بضرورة إطلاع الدارس لعلم ما على باقي العلوم الأخرى، وخاصة إن كان دارسا لعلم الاجتماع.

– هذه العلوم بحاجة إلى فلسفة توجهها، تتمثل في فلسفة العلوم.

– يعتبر علم الاجتماع آخر العلوم ترتيبا في السلم الموسوعي للعلوم الوضعية، اعتبارا أنه أقل العلوم تعميما وأكثرها تعقيدا، ويختص هذا العلم بدراسة البشر.

المبحث الثاني: الأسس الفلسفية للتربية عند أوغست كونت:

يعتبر أوغست كونت من الفلاسفة الذين عملوا على إصلاح الواقع التربوي في العصر الحديث، وهذا انطلاقا من رؤيته التجديدية للمجتمع، وقد أقام تجديده التربوي على أسس فلسفية، تصلح الوضع القائم وللتعرف عليها نتساءل: فيما تمثلت الأسس الفلسفية للتربية عند أوغست كونت؟.

1-أسس التربية عند أوغست كونت:

- من خلال حديثنا عن تصنيف العلوم عند كونت أشرنا أن هذا التصنيف توِّج بعلم جديد لدراسة المجتمع، هو علم الاجتماع وموضوع هذا الأخير ينحصر في جانبين هما: الإستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية.

- فإذا أردنا التحدث عن الأسس التي أقام عليها كونت التربية لابد من التطرق إلى هاذين الجانبين بما يخدم موضوعنا، لأن كونت قام بربط التربية بالمجتمع من خلال رؤيته حول العلاقة الضرورية والتكاملية بين الفرد والمجتمع.

-الإستاتيكا الاجتماعية:

يهتم علم الاجتماع الاستاتيكي بدراسة المجتمع في حالة استقراره بمعنى أنه يتجه نحو دراسة العوامل الأساسية لقيام المجتمع الإنساني، بعبارة أدق يهتم "بدراسة شروط وجود المجتمع أو بما يعرف الآن بالبناء الاجتماعي"[1].

وقد تطرق كونت لموضوع الإستاتيكا "في الدرس الخمسين من دروسه الفلسفة الوضعية"[2] ومن بين الظواهر الاجتماعية التي تدرسها الإستاتيكا الاجتماعية "النظم الاجتماعية الجزئية (النظام الأسري، والنظام التربوي، والنظام السياسي والنظام الاقتصادي...)، بالتركيز على العلاقات الترابطية والسببية بين المتغيرات حيث نعبر على فكرة النظام والاستقرار."[3]

فالنظام الأسري والتربوي من أهم النظم التي يقوم عليها المجتمع، لذا فدراسة هذه النظم ضرورية للوقوف على نقائصها والعمل على تداركها.

---

[1] صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص16.

[2] حسام الدين فياض، أوغست كونت، مؤسس علم الاجتماع الوضعي " انك تدرس لكي تضبط" المرجع السابق، ص110.

[3] المرجع نفسه، ص110.

ولآن للوقوف على أهم الآراء التربوية لدى كونت سنتطرق إلى أفكاره التربوية في الجانب الأسري والتعليمي على حد سواء.

1- الأسرة ووظيفتها التربوية:

تعتبر الأسرة المؤسسة الأولى التي تتم فيها عملية تربية الطفل، نظرا لأنها المركز الأول الذي يتواجد ويتعلم فيه أغلب الأساسيات التي ستبنى عليها حياته، فأهم وظيفة للأسرة هي الوظيفة التربوية.

وهذا ما جعل الفلاسفة وعلماء الاجتماع خاصة يولون لها أهمية كبيرة، إذ يعتبرها كونت وإحدى أساسية في المجتمع و"شيء طبيعي وبديهية أولية"[1]، وبما أن هذه نظرت كونت للأسرة سعى إلى توضيح شروط تكوينها وذلك من خلال تحديده لعلاقة الرجل بالمرأة داخل الأسرة.[2]

لهذا نجده ينبذ الطلاق ويؤكد على أهمية الزواج إذ يرى أنه "استعداد طبيعي عام وقاعدة أولية ضرورية في كل مجتمع"[3]، فمن خلاله تنشأ الأسرة ومن ثم يبنى المجتمع.

وبما أن للتربية الأسرية دور كبير في بناء شخصية الفرد وصلاحه، فأنها بالضرورة من اختصاص أفراد معينين في الأسرة وهم الوالدين، وفي هذا الصدد يولي كونت أهمية كبيرة للمرأة باعتبارها المدرسة الأولى للأبناء، إذ يرى "أن للمرأة دورا راجحا في حكم القلب، ولهذا السبب يتم توجيه التعليم الوضعي إلى المرأة أولا وقبل كل شيء لتجديد البشرية، فهي بطبيعة الحال أكثر إثارة وبالتالي فهي أكثر قدرة على الفهم حتى من الناحية الفكرية والوضعية"[4]

إذ يتلخص العمل التربوي للمرأة في تلقين القيم والمبادئ الصحيحة التي ينبغي أن يسير عليها الأبناء، فهي من تعلمهم كيفية التعامل مع الآخرين، كما تعمل على زرع عاطفة المحبة بداخلهم وتبين لهم الصحيح من الخاطئ وتعمل على توجيههم توجيها سويا يمكنهم

---

[1] ليفي بريل، فلسفة اجيست كونت، المرجع السابق، ص246.

[2] المرجع نفسه، ص246.

[3] المرجع نفسه، ص246.

[4] فاطمة المومني، الأخلاق الاجتماعية عند أوغست كونت، مجلة الدراسات الأكاديمية، المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية، قفصة تونس، العدد4، 2021، ص195.

من العيش في محيطهم الاجتماعي بطريقة صحيحة تسمح لهم بالتعايش مع الآخرين لتحقيق الوحدة والانسجام داخل المجتمع.

والقيم التي يتلقاها الطفل في الأسرة ستترسخ فيه ويعمل على نشرها فيما بعد في محيطه الاجتماعي، وبالتالي إما أن تؤثر بالإيجاب أو السلب على هذا الأخير حسب التربية التي تلقاها داخل المحيط الأسري.

لهذا تعتبر القيم الأخلاقية هي الأساس الأول للتربية فصلاحها يعني صلاح هذه الأخير بأكملها.

ولطالما كانت القيم الأخلاقية محل نزاع الفلاسفة منذ القدم فاتخذت العديد من أشكال التجريد والميتافيزيقا ...الخ، لكنها مع كونت اتسمت بطابع التجديد، بحيث ستصبح هنا قائمة على علم الاجتماع لتتميز بالعلمية والوضعية بمعنى: "أنها تقوم على الملاحظة لا على الخير وهي تنظر إلى الإنسان كما هو كائن بالفعل لا على النحو الذي يتخيل أنه يوجد عليه"[1]، وبهذا ستكون أخلاق حقيقية بعيدة عن الخيال والتجريد. كما عمل كونت على تحديد السياق الذي ينبغي أن تكون عليه الأخلاق والمتمثل في غلبة مشاعر المودة، بمعنى ستقودنا الأخلاق على هذا النحو إلى محبة الآخرين والتعاطف والتضامن معهم. وهكذا بدلا من انتشار الحقد والكره في الوسط الاجتماعي ستنتشر صفات التضامن، تضامن وتعاطف مما يساعد في القضاء على الفوضى، فالوضعية تقول أنه لا بد "أن يعمل الإنسان ما استطاع لكي تتغلب غرائز المودة بين الناس على دوافع الأثرة، ولكي تتغلب (النزعة الاجتماعية) على الشخصية الفردية."[2]

ذلك لأن الأخلاق الوضعية في مجملها سعت إلى إرساء دعائم الغيرية بدل الفردية، لكن هذا لا يعني أنها تقضي على الفردية وتعمل على طمس شخصية الفرد ليس من هذا المنظور، وإنما التأسيس للغيرية متوقف على إدراك الإنسان للعلاقة التي تربطه بالآخرين في محيطه الاجتماعي، لهذا يجب أن تتأسس هذه العلاقات على المحبة والمودة والتعاطف المتبادل بين أفراد المجتمع حتى يسود الاتساق والانسجام بينهم وتزول الخلافات والفوضى. كما أن الأخلاق الاجتماعية تقوم على أمر آخر وهو فكرتي "الحق والواجب حيث سيصبح

[1] ليفي بريل، فلسفة اجيست كونت، المرجع السابق، ص300.

[2] المرجع نفسه، ص303.

الفرد هنا مرتبط بفكرة الواجب أكثر، لأنه مسؤول اجتماعي هذا ما تتجه إليه كل التربية الوضعية وتعطي الفلسفة الوضعية معنى متطابقا تقريبا للكلمات الاجتماعية موظفا مدنيا للإنسانية لأنه مندمج في علاقات الطاعة والواجب والالتزام المتفق عليه"[1]، وهكذا نستنتج أن إقامة كونت للأخلاق على أساس علم الاجتماع باعتبارها العلم الذي يدرس التقاليد، كان الهدف منه تصويب المنظور القديم للأخلاق لتكتسب طابع التجديد، بحيث ستصبح الأخلاق هنا وضعية تدرس ما هو كائن، لذا ستعمل على إصلاح شخصية الأفراد وتربيتهم ليصلح الواقع الاجتماعي.

فمن خلال ما نادى به كونت ستتغير العديد من الأمور في الجانب التربوي، فبدلا من الفردية ستحتل الغيرية حيزا مهما في إطار تعاملنا مع الآخرين، إذ ينبغي حسب كونت أن تسود عواطف المحبة والإيثار بدل الأثرة، ولا بد أن تطغى فكرة الواجب على الحق باعتبار أن الإنسان مسؤول اجتماعي موجه لخدمة الإنسانية.

وهكذا تعمل التربية الأخلاقية على الرفع من المستوى التربوي استنادا على إصلاح الأخلاق، فمتى عمل الإنسان على تقديم مصلحة الشأن العام في المجتمع سيصلح هذا الأخير، أما من ناحية التربية الدينية التي يتلقاها الفرد فتقوم على نفس الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق، إذ نجدها ترتكز على ما تذهب إليه هذه الأخلاق بالذات، فهي الأخرى عملت على تأسيس روح التضامن حتى تصبح الإنسانية كيانا واحدا.

صحيح أن كونت أعلم كفرد منذ صغره ولا يؤمن بأي ديانة بالرغم من ذلك فقد أقام ديانة جديدة سماها دين الإنسانية تخطوا بالبشرية خطوات إلى الأمام نحو التقدم من خلال التضامن الحاصل بين أفراد المجتمع من أجل خدمتها.

لهذا رأى كونت أن كل العقائد الدينية السائدة مآلها الزوال وأن الأمر الوحيد الذي يستحق العبادة هو فكرة الإنسانية.

والهدف من إقامة كونت لهذا الدين "تنظيم العقول والأفراد"[2]، فكما ذكرنا سابقا أن فكر كونت ككل هو محاولة لتنظيم الفوضى السائدة في المجتمع سواء العقلية أو الأخلاقية أو الدينية.

---

[1] فاطمة المومني، الأخلاق الاجتماعية عند أوغست كونت، المرجع السابق، ص201.

[2] المرجع نفسه، ص204.

من الناحية الفلسفية يرى كونت "أن كل إنسان في هذه الأزمنة الحديثة يحتاج إلى التدين أو الحب والإيمان والأمل فيقول: العقل المنهجي يجعل الشروط الأساسية الثلاثة للوجود الاجتماعي، الحب والإيمان والأمل هي المادة لكل إنسان"[1]، والإيمان الذي يقصده كونت ليس الإيمان بأي عقيدة دينية إنما العقيدة الإنسانية، فمن منظوره أن الأمور التي لا تتراءى له وبعيدة عن الواقع لا يستطيع أن يؤمن بها فديانة الإنسانية حسب كونت ستعمل على ضبط العقل، كما اعتبر أن "العبادة جزء من الشطر الأخلاقي من الدين المرتبط بالحياة الداخلية للأفراد، فيتم تحرير الحب كمبدأ أخلاقي للمجتمع من خلال الاحتفالات"[2]، وهنا بالضبط تظهر سمات الاتحاد الإنساني من خلال هذه الأفكار التي تخص ديانة الإنسانية.

إذن نستنتج أن التربية تقوم كذلك على أساس ديني بالنسبة لكونت المرتبط بديانة الإنسانية بحيث ستعمل الإنسانية هنا على نشر الحب وروح التعاون وتضامن التي تظهر من خلال سعي جميع أفراد المجتمع لبلوغ الكمال في الإنسانية، والناتج عن إصلاح الجانب العقلي والأخلاقي بمعنى أن الإنسانية ستعمل على إصلاح تربية الأفراد عن طريق زرع مشاعر التعاون والتضامن التي تتلخص في العيش من أجل الآخرين، وهذه الأمور يتلقاها الفرد في محيطه الأسري قبل كل شيء ثم تنتشر في الوسط الاجتماعي.

2- نظام التعليم عند كونت:

ينطلق كونت في تأسيسه للتعليم من ضرورة تجاوز التفكير اللاهوتي والميتافيزيقي وبلوغ التفكير الوضعي، وتحقق هذا الأخير إنما يكون عن طريق اتخاذ العلم السبيل الوحيد للمعرفة والإعراض عن باقي المعارف التي لا تستند عليه.

وانطلاقا من هذا سيكون التعليم بالنسبة لكونت تعليما وضعيا يستند على التجربة والملاحظة ويبتعد على التخمين والمعارف السابقة، أي يعتمد على تطبيق المنهج الوضعي.

-ومن خلال عمله على إصلاح المنظومة التربوية التي اعتبرها من المهام الأساسية للفلسفة الوضعية، عمل على تحديد عمل المنظومة التعليمية والمتمثل في "التنظيم بين مختلف القطاعات والمستويات للتكوين العلمي"[3]

[1] فاطمة المومني، الأخلاق الاجتماعية عند أوغست كونت، المرجع السابق، ص205

[2] المرجع نفسه، ص260.

[3] بيار ماشري، كونت الفلسفة والعلوم، المرجع السابق، ص 66.

والمقصود هنا أن كونت أراد تأسيس تعليم عام يقوم على أساس تنوع المعارف والعلوم وأن توجه هذه الأخيرة لجميع مستويات التكوين وفي هذا الشأن يقول:"لتستطيع الفلسفة الطبيعية إتمام التجديد، الذي أعد له بالفعل بشكل كبير لنظامنا الفكري، أن تكون العلوم المختلفة التي تتألف منها، مقدمة إلى جميع العقول كفروع متنوعة من ساق واحدة منخفضة أولا إلى ما يشكل روحها، أي طرقها الرئيسية وأهم نتاجها فقط بهذه الطريقة يصبح بيننا أساسا لتعليم عام جديد حقا عقلاني."[1]

ودراسة المتعلم لعلم واحد كالفيزياء أو الفلك مثلا إن لم يتبع بتعلم علوم أخرى لن ينتج عنه وعي كامل ومعرفة متوازنة، فالاقتصار على التعمق في التخصص فقط سيجعل "التعليم تقريبا مستحيلا وبالضرورة غير كامل حتى لأعلى العقول".[2]

وهذه النقطة سترجعنا إلى تصنيفه للعلوم، إذ اعتبر أن هذه الأخيرة لابد أن تكون دراستها متكاملة، بمعنى على الدارس أن يكون مطلعا على كافة العلوم لأنها تستند على بعضها البعض فكل علم يمهد للعلم الذي يليه ما جعل من الإطلاع على كافة المعارف أمر ضروري وهذا ما يبرره قولا كونت بخصوص أولائك الذين يغرقون في تخصصهم دون الإطلاع ولو بصفة عامة على باقي العلوم إذ يرى أنهم "قد خرقوا أحد الشروط الأساسية لتطورهم الفكري.[3]

لهذا يؤكد كونت على أهمية التعليم الشامل والذي ينبغي أن يوجه لجميع المستويات حسبه، ويقوم هذا التعليم على أساس " المنهج المشترك بين الجميع، أي المنهج الوضعي فجميع العقول تفكر بنفس التفكير النظري في نفس الموضوع وهذا ما يطلق عليه كونت إسم الوحدة العقلية العميقة بين العلماء وبين الجمهور العامل".[4]

–وقد أعتبر كونت أن التجديد الحاسم للمجتمع لن يكون إلا عن طريق تعليم الشعب وتقدم المعرفة[5]، لهذا فمن منظوره أنه لا بد "على الدولة أن تتيح التعليم لهؤلاء الذين لا يستطيعون تحصيله على نفقتهم الخاصة"[6]، وهكذا كونت قد أكد على ضرورة التعليم وأنه

[1] Auguste Comte, cœurs de philosophie positive, op.cit, p90.
[2] Ibid., p90.
[3] Ibid,P135.
[4] فاروق عبد المعطي، أوغست كونت مؤسس علم الإجتماعي الحديث، المرجع السابق، ص 74.
[5] Auguste, conte cœurs de philosophie pasitive, op¨, cit p46
[6] فاروق عبد المعطي، أوغست كونت مؤسس علم الإجتماعي الحديث، المرجع السابق، ص 76.

حق عام للجميع ولكن هذا ليس معناه أنه يضع الجميع في نفس مرتبة استحقاق هذا التعليم أي "ليس معنى هذا أن كل الناس وجميع أفراد الطبقة الفقيرة بصفة خاصة، يجب أن يحصلوا على معرفة عميقة في مختلف العلوم الأساسية، على غرار هؤلاء الذين يتخذون هذه المعرفة مشغلتهم الخاصة في أثناء الحياة[1].

وصحيح أن كونت ذهب إلى القول أن المعارف والعلوم لابد أن تتجه إلى العقول في جميع المستويات لكن لم يقصد" أن نبسط النظريات العلمية الكبرى حتى نهبط بها إلى مستوى العقول التي لم تتهيأ لمعرفتها ويقسو كونت في حكمه على هذه الطريقة التي تهدف إلى تبسيط العلم، فهو لا يسمح مثلا بالفصل بين القوانين نيوتن وبين براهينها" وأراد من هذا أن يتم التسليم بجميع القوانين العلمية على أنها صحيحة، لأن العلماء تأكدوا من صحتها.

-والهدف الأسمى من الإصلاح التربوي في نظر كونت أن "العادة التي يجب أن يزود بها التربية كل عقل هي أن تؤلف صور جميع الظواهر، من أقلها تركيب حتى أكثرها تعقيدا على أنها تخضع لقوانين ثابتة، وأن يدرك تبعا لذلك، إن الطبيعة نوع من النظام الذي يسمح المنهج الوظيفي وحده بالكشف عنه وبتعديله".[2]

-ونظرا للأهمية الكبرى لدراسة المنهج الوضعي حسب كونت يرى بأنه لابد "على كل إنسان أن يأخذ بطرف من كل علم أساسي ابتداءً من العلوم الرياضية حتى علم الاجتماع."[3] وذلك لأننا لا نستطيع دراسة المنهج الوضعي في معزل عن العلوم، وقد أكد في العديد من المرات على ضرورة الوقوف على جميع العلوم فحسبه أن "التعليم العام يتطلب بالضرورة مجموعة من المفاهيم الإيجابية حول جميع فئات الظواهر الطبيعية. "[4]

-وما للتعليم من أهمية كبيرة في نظره أولى أهمية كبيرة للمدرسة والأستاذ، فقد رأى أن هذا الأخير يتطابق مع الفيلسوف "فبالنسبة له، ليس الفيلسوف أستاذا لعلم جديد لكنه كموسوعي حقيقي، فهو الأستاذ لكل العلماء، ومن هنا نفهم لماذا يعلق كونت أهمية للمراكز

[1] المرجع نفسه، ص76.

[2] المرجع نفسه، ص 76.

[3] المرجع نفسه، ص 76.

[4] Auguste Comte, cœurs de philosophie positive, op.cit. P90 .

التي يجب ملئها في مدرسة البوليتكنيك"[1]وذلك ما للمدرسة من أهمية باعتبارها مركزا لتدريس تلك العلوم.

وبالتالي مما سبق ذكره نستنتج أن كونت أراد التأسيس لتربية عامة تشمل كل من التربية الأسرية التي يتلقاها الطفل في بداياته الأولى وتربية عقلية علمية يتلقاها بالمدرسة بتعلمه للعلوم الأساسية، التي من شأنها أن تجعل العقل فطنا من خلال استنتاج القوانين التي تحكم الظواهر من هذه العلوم، بدلا من التفكير القديم القائم على الخيال والتخمين والبحث في أسباب الظواهر بإرجاعها إلى قوى غير مرئية.

فالتربية العقلية العلمية التي أرادها كونت تهدف إلى تجاوز هذا التفكير والسير نحو التقدم في ذكاءه ومعارفه.

-فحديثنا عن التربية الأسرية كانت من منطلق الأهمية التي أولاها كونت لها من خلال التأكيد على ضرورتها إذ عمل على تحديد شروط تكوينها، فأهميتها تكمن في كونها الخلية الأولى والأساسية في المجتمع الذي يمثل البناء الاجتماعي، إضافة إلى أن التربية التي يتلقاها الطفل في محيطه الأسري سيكون لها تأثير على محيطه الاجتماعي اعتبارا أن الأسرة تعمل على "تحويل الرضيع من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي يستطيع الانخراط في مجتمعه والتعامل معه بكفاءة.[2]

-ومن ناحية أخرى فالأسرة هي التي ينبغي أن تنمي لدى الفرد مشاعر المحبة التي لابد أن يقف عليها في تعامله مع الأخيرين، فكونت يؤسس علم الاجتماع الستاتيكي على أساس النظام، وهذا الأخير يتأسس على العديد من الاعتبارات من بينها علاقة الفرد بالآخرين في المحيط الاجتماعي.

-أما عن رغبته في تأسيس ديانة الإنسانية فهذا الأمر كذلك سعى إلى تحقيق الوحدة داخل المجتمع نحو التقدم لبلوغ الإنسانية

[1] بيار ماشري، كونت الفلسفة والعلوم، المرجع السابق، ص66.

[2] ناصر أحمد الخولدة- رسمي عبد الملك رستم، الأسرة وتربية الطفل، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، ط1، 2010، ص26.

–أما التعليم العقلي العلمي فيقوم على أساس تصنيفه للعلوم في السلم الموسوعي، بحيث تجده يندد بضرورة إطلاع المتعلم على جميع العلوم الأساسية ولو بصفة عامة وذلك لأن العلوم تستند على بعضها البعض فكل علم يؤسس بالضرورة للعلم الذي يليه.

كما رأى أن التعليم لا بد أن يقوم على تعليم العلوم الأساسية التي تساهم في تنمية القدرات العقلية لأنها أهم من العلوم الأدبية والفنية في نظره، فالعلوم الأساسية هي ما تؤسس لمعرفة القوانين التي تحكم الظواهر الأمر الذي جعل كونت يؤسس علم الاجتماع من أجل بلوغه.

- تطرقنا في هذا المبحث إلى بعض الأسس الفلسفية للتربية عند أوغست كونت

نلخصها في النقاط التالية:

- تعتبر الأسرة مؤسسة ضرورية لتربية الأبناء باعتبارها الخلية الأولى في المجتمع الذي يمثل البناء الاجتماعي، التي أكد كونت على ضرورة قيامها لما لها من دور في بناء شخصية الأبناء، وتعليمهم الأسس التي ينبغي أن يسيروا عليها في المجتمع كتعليمهم مبادئ التعامل مع الآخرين.

- التعليم العقلي عند كونت يقوم على أساس تعليم العلوم الأساسية والتي ينبغي أن يكون تعليمها شاملا متكاملا، بمعنى على المتعلم أن يطلع على جميع العلوم الأساسية، لأن العلوم تستند على بعضها البعض.

- تكمن أهمية تعليم العلوم الأساسية في الحصول على معرفة علمية وضعية تمكن أفراد المجتمع من زيادة نسبة وعيهم، وذلك بالوصول إلى القوانين التي تحكم سير الظواهر الاجتماعية بدلا من إرجاع أسباب حدوثها إلى قوى خفية غير مرئية.

- أقام كونت تعليم هذه العلوم على الفلسفة التي تخدمها والتي يرتكز عليها الإصلاح التعليمي.

المبحث الثالث: التربية الديناميكية عند أوغست كونت:

لطالما كان الهدف من التربية عند أوغست كونت هو تحقيق التقدم الاجتماعي سواءا في الجانب الأسري أو التعليمي، لبلوغ تربية وضعية تتماشى مع متطلبات العصر، استندت هذه التربية على الجانب الدينامي الذي قال به كونت وعليه: ما هي أهم الأمور التي قام بها كونت لتحقيق هذا النوع من التربية؟.

أشرنا سابقا إلى أن موضوع علم الاجتماع انحصر في جانبين هما الإستاتيكا والديناميكا، الإستاتيكا الاجتماعية تقوم على فكرة النظام أي تدرس المجتمع في حالة استقراره، أما علم الاجتماع الديناميكي يقوم على فكرة التقدم وهذا بالضبط ما يهمنا في الجانب التربوي عند كونت، إذ سعى هذا الأخير إلى بلوغ التقدم الإجتماعي في مختلف مجالاته (الأسرية، التربوية، الأساسية.....إلخ).

–لقد ركز أوغست كونت على الديناميكا الاجتماعية أكثر من الإستيتيكا الاجتماعية، إذ "يعد هذا الفرع في نظر كونت الجزء الرئيسي في علم الاجتماع. وهو يقول لنا أنه قد شغل اهتمامه بصفة خاصة ،واحتل فيه مكانة يكاد لا ينازعها فيها شيء آخر"[1] .

تعرف الديناميكا الإجتماعية بأنها "علم الحركة الضرورية المتصلة للإنسانية أو باختصار علم قوانين التطور"[2]، وبما أن هذه الخاصية التي تتميز بها علم الاجتماع الديناميكي، فقد قام عليها فكر كونت بأكمله من خلال اكتشافه لقانون الحالات الثلاث التي تبرهن على تطور البشرية بمرورها بالمراحل الثلاث (اللاهوتية، الميتافيزيقية، الوضعية).

وموضوع الديناميكية الاجتماعية حسب كونت "هو دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها."

ترتبط الديناميكا الاجتماعية بالجانب التربوي من ناحية التطور، فعلى الكائن الإنساني أن يخضع للتطور في جميع جوانب حياته سواءا التعليمية أو التربوية، وهذا التغيير الذي يطرأ عليه في هذه الجوانب إنما يستند على تنمية الفرد لقدراته وذكائه، وهذا ما أراده كونت من التربية أن تسير بالإنسان نحو التقدم من خلال تنمية ذكائه بتربية عقلية علمية من جهة

[1] فاروق عبد المعطي، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الحديث، المرجع السابق، ص212.

[2] المرجع نفسه، ص213.

تربية أخلاقية وإنسانية يتلقاها في محيطه الأسري بصفة خاصة ومن ثم في محيطه الاجتماعي من جهة أخرى.

–تخضع هذه التربية للتطور من خلال تطوير الفرد لأخلاقه من خلال استبدال الأخلاق الفردية إلى أخلاق اجتماعية مثلا: كتغيير صفة الأنانية إلى صفة حب الغير واحترامهم...الخ.

–وبما أن الأخلاق عند كونت اكتست ثوب العلمية وقامت على دراسة ما هو كائن وكذا اتصفت بالنسبية شأنها شأن العلم بالنسبة لكونت، فأنها بهذا تتصف بقابلية التغيير والتطور

وهذا يتماشى مع القانون الأساسي الذي يحكم تقدم البشرية كما أشرنا، فلابد على الأخلاق أن تتجاوز الطابع اللاهوتي والميتافيزيقي اللذان انحصرت فيهما من قبل وتخطو نحو بلوغ المجال الوضعي، الذي يعبر عن الرقي والتقدم والتطور فببلوغ الأخلاق هذه المرحلة من المراحل الثلاث التي تمر بها الإنسانية في مسيرها نحو التقدم، سيكون بإمكاننا دراسة الأخلاق دراسة علمية موضوعية قائمة على ملاحظة الأخلاق السائدة في المجتمع الواحد بين أفراده، أو بين المجتمعات على مر العصور، فبمقارنتها يتم إصلاح جانب النقص فيها.

–أما عن تطور نظام التعليم فيخضع لنفس القاعدة، فإذا كنا قد أشرنا سابقا أن تصنيف كونت للعلوم يقوم على أساس قانون الحالات الثلاث الذي يسير بهذه العلوم نحو التقدم، فإن تعليمها يسير على نفس الخطى، لهذا رأى كونت أنه لابد من استبدال التعليم السائد في أوروبا آنذاك الذي يقوم على اللاهوت والميتافيزيقا والأدب بتعليم يتماشى مع متطلبات واحتياجات مجتمعهم.[1]

– فتطور الناحية المعرفية يكون شيئا فشيئا مرورا بالمراحل الأولى وصولا إلى المرحلة الوضعية والتي فيها "يتخلى الإنسان عن بحثه عن محركات أولى، وعن ألوان المطلق وأنماط الجواهر يقلع عن كل تأمل يفلت من يدي التجربة، ويمر من مجال الإحساس عندئذ يحصر الإنسان أبحاثه ودراساته في مجال التجارب التي تخضع للمنهج العلمي فتتم له بذلك

[1] Auguste comte , cœurs de philosophie positive, op.cit, p89.

معرفة وضعية علمية"[1]، وهذه هي أرقى مرحلة يصل إليها الإنسان من الناحية المعرفية في نظر كونت فالعقل البشري مر قبل كل شيء بالمراحل الأولى للتفكير إلى أن وصل إلى هذه المرحلة التي استطاع فيها أن يبلغ من الوعي العلمي ما يكفيه لمواكبة العصر الحديث آنذاك

كما أن أوغست كونت من خلال تصنيفه للعلوم أخضعها هي الأخرى لقانون الحالات الثلاث باعتباره القانون الذي يحكم البشرية من بداياتها الأولى وصولا على أرقى مرحلة وهي المرحلة العلمية.

-فقد صنف كونت العلوم استنادا إلى درجة تحررها من التفكير اللاهوتي وكذا الميتافيزيقي وصولا إلى المرحلة الوضعية، وأعتبر هذا التصنيف دليل على صدق قانون الحالات الثلاث.

-وهكذا حاول كونت أن يخضع كل الظواهر والعلوم لهذا القانون والهدف من هذا كما أشرنا الوصول إلى أعلى مراتب التقدم العلمي.

-كما أن هذا القانون يبرر لنا أن الإنسانية منذ نشأتها الأولى خاضعة للتطور، بحيث نجد هناك تقدم كبير بين النمط التربوي التعليمي في العصور السابقة وبين العصور الحديثة وعصرنا الحالي مثلا، والهدف من هذا التطور هو تجاوز مساوئ الأنظمة القديمة لبلوغ التقدم في المجال التربوي فمن "أهم وظائف التربية نقل ما وصل إليه المجتمع من تراث ثقافي، حتى يكون هناك تواصل في تطور الجماعة وحفاظا على قسماتها الرئيسية، والتراث الثقافي يتضمن، من بين عناصر متعددة، ماضي الأمة وما يشير إليه استقراؤه من مضامين ودلالات تعين على حسن فهم الحاضر، والتحسب للمستقبل"[2]، وهكذا التربية عندما تقام على هذا الأساس أو على ما يقتضيه هذا القانون باعتباره تعبير عن التقدم الإنساني فأنها بهذا خاضعة لسمة التغير من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى آخر، متجهة نحو التقدم عن طريق دراسة العادات والقيم والعلوم من الناحية التي كانت عليها في الماضي، بغية تصحيح الأخطاء التربوية التعليمية التي كانت من قبل حتى تبلغ التقدم، مع الحفاظ على أهم المبادئ التي ينبغي أن تتوارثها الأجيال.

---

[1] عائشة علي روزي، الأخلاق عند المدرسة الوضعية أجست كونت ومدرسته دراسة نقدية على ضوء الإسلام، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، إشراف برهكات دويدار، 1991، ص97.

[2] سعيد إسماعيل علي، أصول التربية العامة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2، 2010، ص54

–وهذا ما نجده في علم تاريخ التربية الذي "يتتبع فيه الدارس تطور النظم والمؤسسات والأفكار التربوية عبر العصور[1]"، إذ يدل هذا العلم على حتمية التغير في المجتمعات عبر العصور"في جميع المجالات من بينها مجالي التربية والتعليم.

–وهذا ما جعل كونت يخضع كل الظواهر لقانون الحالات الثلاث، إذا أراد من هذا البرهنة على ضرورة العزوف عن التربية اللاهوتية والميتافيزيقية وبلوغ التربية الوضعية، التي تساهم في تقدم المجتمع وتطوره.

وبلوغ هذا النوع من التربية إنما يكون من خلال تطوير الإنسان لنفسه من جميع الجوانب المعرفية والتربوية، لذا نجد كونت يؤكد على ضرورة إطلاع المتعلم أو الدارس على جميع العلوم الأساسية ولو بصفة عامة، ليتمكن من تطوير قدراته العقلية والعلمية.

–لهذا فالتربية الديناميكية عند أوغست كونت تقوم على أساس قانون الحالات الثلاث الذي يبرهن على تطور الإنسانية، وذلك لأن" الجماعة التربوية هي حركة دائمة ولا تستقر أبدا، وأن مفهوم التغير المستمر أساس لفهم أي كائن اجتماعي بدرجة ما هو أساس لفهم أي كائن بيولوجي".[2]

–وانطلاقا من تأسيس أوغست كونت لعلم الاجتماع القائم هو الأخر على أساس هذا القانون، توصل كونت للعلاقة التي تربط كل من تربية الفرد ومحيطه الاجتماعي وذلك من خلال فهم "الوظيفة الإجتماعية للتربية ومضمونها الاجتماعي، حيث ذهب إلى أن التقدم البشري يعتمد على التربية بدرجة كبيرة. وهذا ما جعله يقرر آن هناك حاجة ماسة للتربية العامة، لأنها تساعد على دعم تكامل الأفراد مع المجتمع، وأيضا تعمل على غرس التعاطف الوجداني العام بين الأفراد."[3]

–فكونت لم يركز على التربية الفردية فحسب بمعنى أنه لم يحصر التربية في تنمية قدرات الفرد فقط وإنما تجاوز هذا ليحقق بها التقدم كما أشرنا لهذا " سعى إلى ربطها بوضوح بالتقدم البشري وما يرتبط به من تغييرات، مؤكدا الدور الوظيفي للتربية في إكساب الفرد

[1] سعيد إسماعيل علي، أصول التربية العامة، المرجع السابق، ص54.

[2] المرجع نفسه، ص55.

[3] جلال غربول السناد، علم الاجتماع التربوي، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص64.

القدرات بشكل يجعله متوافقا مع تلك التغييرات ومتكاملا مع الآخرين، فالتربية عند كونت وسيلة لتقدم المجتمع وتكامله".[1]

- حاولنا في هذا المبحث الوقوف على أهم النقاط التي تدل على المهمة الأساسية التي تلعبها التربية في التقدم البشري، نلخصها في النقاط التالية:

- أولى أوغست كونت أهمية كبيرة لعلم الاجتماع الديناميكي باعتباره علم قوانين التطور.

- يقوم هذا الفرع من علم الاجتماع على قانون الحالات الثلاث الذي قال به كونت والذي يبرهن أن البشرية منذ نشأتها مرت بمراحل ثلاث (اللاهوتية، الميتافيزيقية، الوضعية) ومن خلال مرورها بهذه المراحل خضعت للتطور إلى أن وصلت إلى ارتقى مرحلة من التقدم وهي المرحلة الوضعية.

- بما أن كونت أرجع تصنيفه للعلوم إلى هذا القانون، فإن العلوم بهذا خضعت للتطور هي الأخرى من خلال مرورها بالمرحلة الأولى وصولا إلى المرحلة الوضعية، لذا فتعليم هذه العلوم يخضع لنفس هذا القانون، إذ رأى كونت أنه من الضروري استبدال التعليم اللاهوتي والميتافيزيقي في أوروبا آنذاك بتعليم وضعي يتماشى مع متطلبات العصر آنذاك لمواكبة التطور.

- أما عن التطور في مجال التربية الأخلاقية، فلا بد أن تخضع هي الأخرى لتطور من خلال استبدال الأخلاق الفردية بأخلاق اجتماعية (من الأثرة إلى الإيثار).

- هذا النوع من التربية الديناميكية له أثر بليغ في تطوير شخصية الفرد، مما يؤدي إلى التقدم الاجتماعي الذي ينتج عن تقدم العلوم وتطور أفراد المجتمع، سواءا من الجانب المعرفي أو الأخلاقي.

[1] جلال غربول السناد، علم الاجتماع التربوي، المرجع السابق، ص64.

حوصلة:

تطرقنا في هذا الفصل إلى تصنيف كونت للعلوم، إضافة إلى الأسس الفلسفية للتربية عنده، ومبادئ التربية الديناميكية الضرورية لحصول التقدم في المجتمع، نلخصها فيما يلي:

- صنف كونت العلوم نتيجة تحررها من التفكير اللاهوتي والميتافيزيقي وبلوغها المرحلة الوضعية، وفي تصنيفه هذا ميز بين نوعين من العلوم: صنف نظري والآخر عملي، إذ يعتبر العلوم النظرية أساسية لما لها من دور في معرفة القوانين التي تحكم سير الظواهر الاجتماعية، في حين أن العلوم التي لم يدخلها في تصنيفه فهي إما تابعة لها أو مجرد علوم في الظاهرة لا في الواقع، وقد صنفها نزولا حسب درجة تعميمها وصعودا حسب درجة تشابكها فكانت مرتبة على النحو الآتي: الرياضيات، الفلك، الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا علم الاجتماع.

- هذا في ما يخص تصنيفه للعلوم بشكل موجز، أما عن الأسس الفلسفية للتربية عنده فلاحظنا أن التربية قبل أن تكون تربية علمية لا بد أن تتوقف أولا على ما يكتسبه الطفل في المحيط الأسري، لذا حديثنا عن هذا الجانب كان انطلاقا من الوقوف على أهمية التربية الأسرية، وذلك من خلال ما ذهب إليه كونت في حديثه عن أهمية الأسرة إذ اعتبرها الخلية الأولى في المجتمع الذي يمثل البناء الاجتماعي، انطلاقا من أنها المركز الأول الذي يتلقى فيه الطفل تربيته الأساسية، باكتسابه القيم الأخلاقية التي ستبنى عليها شخصيته من جهة وتعلمه فن التعامل مع الآخرين من جهة أخرى.

- فمن أهم الأمور التي ينبغي أن يتربى عليها الفرد احترام الآخرين، إذ أن سيادة هذا المبدأ في المجتمع ينتج عنه الانسجام والتضامن الاجتماعي، وهذه الأمور تعتبر ضرورية في النظام الاجتماعي، فمتى توفرت ستسود الوحدة التي سعى كونت إلى تحقيقها ليجعل الإنسانية كيانا واحدا نحو التقدم.

- ومن ناحية أخرى فنظام التعليم عنده استند على ضرورة تجاوز التعليم اللاهوتي والميتافيزيقي وبلوغ التعليم الوضعي الذي يتماشى مع متطلبات عصر التقدم، أي يعتمد على تطبيق المنهج الوضعي كما عمل على تحديد عمل المنظومة التعليمية التي اعتبرها من المهام الأساسية للفلسفة الوضعية وتمثل عملها في التنسيق بين مختلف قطاعات ومستويات التكوين العلمي.

رأى كونت أن التعليم ضروري وحق للجميع ينبغي على الدولة أن توفره لأولئك، الذين لا يستطيعون دفع تكاليفه، كما أكد كونت على ضرورة اطلاع المتعلم على كافة العلوم بصفة عامة، حتى لا يحدث خلل في تطوره الفكري، صحيح أنه قال بضرورة التخصص، لكن هذا لا يمنع في نظره الاطلاع على بقية العلوم الأخرى حتى يكتمل تعليمه.

- أولى كونت أهمية كبيرة للمدرسة والأستاذ، باعتبار المدرسة المكان الأسمى الذي سيتلقى فيه المتعلم كافة العلوم.

- قامت مبادئ التربية الوضعية عنده على أساس علم الاجتماع الديناميكي الخاص بالتطور والذي يستند على قانون الحالات الثلاث الذي يبرهن على تقدم البشرية بمرورها بالحالات الثلاث التي ذكرناها، إذ يوضح هذا القانون مدى استجابة أفراد المجتمع لتغير والتطور الحاصل في المنظومة الاجتماعية من بينها ما يطرأ على مجالي التربية والتعليم وهذا ما جعله يقول بضرورة تجاوز التعليم اللاهوتي والميتافيزيقي السائد في عصره واستبداله بتعليم وضعي يتماشى مع التقدم الذي وصلت إليه الإنسانية في المرحلة الوضعية.

- للتربية دور كبير في التقدم الاجتماعي وهذا ما سعى كونت إلى تبريره من خلال الحديث عن نظرية التقدم.

كانت هذه هي أهم الأسس التي أقام عليها كونت التربية.

الفصل الرابع:

فلسفة التربية بين ابن خلدون وأوغست كونت

- **المبحث الأول: أوجه التشابه**
- **المبحث الثاني: أوجه الاختلاف**
- **المبحث الثالث: آراء نقدية**

- يعد الاهتمام بالشأن التربوي من الضرورات الأولى في أي مجتمع، لما للتربية من دور في تسوية أوضاع هذا الأخير، وهذا ما جعل الفلاسفة وعلماء التربية والاجتماع وكذا علماء النفس يهتمون بالمجال التربوي كونه المركز لباقي المجالات، فصلاح هذا المجال ينم بالضرورة على صلاح باقي القطاعات في المجتمع لأن تربية الفرد وتعليمه سينعكس على كل مسارات حياته وعلى محيطهم الاجتماعي، وانطلاقا من هذا نجد أن التربية كانت محل اهتمام العديد من الفلاسفة العرب والغرب، من بينهم ابن خلدون وأوغست كونت، إذ عمل كل منهما على طرح العديد من الأفكار التربوية، وأفكارهم هذه قد تكون متقاربة أو متضاربة وللوقوف على أوجه الاختلاف والاتفاق في فلسفتها التربوية نتساءل: ما هي أهم نقاط الاتفاق والاختلاف بين الفكر التربوي للفيلسوفين؟ وما هي أهم الانتقادات الموجهة لهم في هذا المجال؟.

المبحث الأول: أوجه التشابه

لقد ارتبطت التربية ارتباطا وثيقا بالمجتمع، وهذا نظرا لدورها في تحقيق التقدم والازدهار في هذا الأخير، لذا نجد العديد من الفلاسفة الذين اهتموا بالعلاقة التي تربط بين الفرد ومجتمعه من خلال التربية، ومن بين الذين اهتموا بهذا الموضوع ابن خلدون وكونت واستنادا على هذا نتساءل: ما هي أهم نقاط التشابه في فلسفة التربية عند الفيلسوفين؟

1-أهم الأفكار التربوية لابن خلدون:

لقد تواجد ابن خلدون في عصر بلغ فيه انحطاط الحضارة الإسلامية ما يكفيه لتغلب عليه صفة التراجع، عصر "بلغ تفكك العالم الإسلامي فيه مبلغه من دويلات طائفية"[1] والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية لها أثر كبير على واقع المجتمع في مختلف جوانبه من بينها جانبي التربية والتعليم.

ونظرا لتراجع نظام التربية والتعليم في زمن ابن خلدون جراء العديد من الظروف من بينها ما ذكرنا، قام ابن خلدون بنقد البعض من النظم السائدة في عصره آنذاك، ونخص بالذكر النظام التربوي، إذ قام بتقديم نظام تربوي بديل يحل محل النظام القديم للنهوض بمجال التربية، ونلخص أهم أفكاره التربوية التي تطرقنا إليها فيما يلي:

أقام ابن خلدون التعليم على تربية الملكات إذ نجده يؤكد على ضرورة تكوين ملكة لدى المتعلم.

– كما يؤكد على ضرورة تجاوز النظم السائدة في عصره من كثرة المؤلفات في العلوم وكثرة الاختصارات، والشدة على المتعلم وغيرها من الأمور الأخرى.

– قدم ابن خلدون بديلا لنظم التعليم السلبية ومن بين البدائل التي قدمها ما يلي: تأكيده على أهمية تعليم الصغر لما له من رسوخ لذا ينبغي تعليم الأولاد تعليما سويا تصلح به تربيتهم، إضافة إلى أنه أولى أهمية كبيرة للحوار وقال بضرورة الحذر من خلط البدايات مع الغايات على المتعلم، ويؤكد كذلك على قانون التدرج لما له من قدرة على تحسين الوضع التربوي والتعليمي.

---

[1] عبد الحليم عويس، التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1991 ص43.

هذه بعض الأمور التي وقف عليها ابن خلدون في الفكر التربوي، وتطرقنا إليها بالتفصيل سابقا.

2-أهم الأفكار التربوية لأوغست كونت:

- تواجد أوغست كونت هو الآخر في عصر سادت فيه الفوضى إذ نجد كونت يصف هذا الزمن بأنه "زمن الاضطرابات المجتمعية والسياسية التي عرفتها فرنسا بصفة خاصة في أعقاب الثورة الفرنسية الكبرى"[1]، ويحدد أوغست كونت الجوانب التي سادت فيها هذه الفوضى وأسباب حدوثها وطبقا لما ذهب إليه كونت "فإن الصراع كان يدور بين الفئات المحافظة في المجتمع، وهي التي كانت تسعى إلى أن تعرض على المجتمع الجديد قوانين المجتمع القديم."[2]

ومن بين أهم الأمور التي سعت القوى المحافظة فرضها على المجتمع الجديد ما يتعلق بالجانب التربوي والتعليمي، وهذا ما جعل كونت يرى أنه لا بد من إعادة تنظيم المجتمع وهذا التنظيم يشمل جميع نظم هذا الأخير من بينها التربية والتعليم، إذ طرح العديد من الأفكار التربوية التي تساهم في تحقيق الوحدة العقلية وحتى الأخلاقية داخل المجتمع ونلخص ما ذكرناه سابقا فيما يخص التربية عند أوغست كونت في بعض النقاط الآتية:

أسس كونت لتربية وضعية تستند على العديد من الأمور أهمها تعليم العلوم الأساسية والمقصود أنّ كونت أراد أن يبني فكره على أساس العلم، ففي نظره كل معرفة غير علمية ليست صحيحة، لذا نادى بضرورة تشكيل معارف علمية قائمة على الملاحظة والتجربة والابتعاد عن كل ما هو غير واقعي، فالتربية عنده لا بد أن تسعى قبل كل شيء إلى إصلاح الفوضى العقلية وتطوير تفكير الأفراد وتشكيل معارفهم على أساس علمي.

هذا فيما يخص أفكارهم التربوية بصفة عامة دون تفصيل لأننا تطرقنا إليهم في الفصل الثاني والثالث والآن سنتطرق إلى أهم نقاط الاتفاق بين الفيلسوفين في فلسفتهما بصفة عامة وكذا في مجال التربية.

[1] محمد وقيري، ما هي الإيستمولوجيا؟، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ط2، د ت، ص268.

[2] المرجع نفسه، ص268.

أوجه التشابه:

التشابه من حيث المنهج، إذ أن كل من ابن خلدون وكونت أسس منهج علمي لدراسة الظواهر الاجتماعية، فابن خلدون أسس منهجا علميا يقوم على المعرفة العلمية والتعليل والملاحظة والمقارنة والتمحيص والنقد وكذلك التطور.

وأوغست كونت هو الآخر أقام منهجه الوضعي على الملاحظة، المنهج المقارن والمنهج التاريخي، وبالتالي نلاحظ أن كلاهما يتخذ من الملاحظة سبيلا للوصول إلى القوانين التي تحكم سير الظواهر الاجتماعية.

والتطور عند ابن خلدون قائم على التمييز بين الظواهر الاجتماعية والطبيعية، وأهم ما يميز الظواهر الاجتماعية خضوعها للتطور، نفس الأمر عند أوغست كونت في المنهج التاريخي الذي اعتبره أنه "ذلك المنهج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي الحتمي للمجتمعات البشرية"[1]

كلاهما أقام منهجه على الملاحظة، وبهذا يكون قائم تقريبا على نفس الأسس، وهذا ربما لتقارب نظرتهما للجانب الاجتماعي.

كلاهما أسس علم الاجتماع لدراسة ظواهر المجتمع نظرا لأن الظروف التي تواجد فيها الفيلسوفين كانت مضطربة كما أشرنا سابقا، فابن خلدون عاش في زمن "بلغ تفكك العالم الإسلامي فيه مبلغه بين دويلات طائفية"[2]، وكذلك أوغست كونت تواجد في "زمن الاضطرابات المجتمعية والسياسية التي عرفتها فرسا، بصفة خاصة في أعقاب الثورة الفرنسية الكبرى"[3]، وبالتالي نستنتج أن كلاهما وجدا في زمن سادت فيه الاضطرابات في مجتمعهم وهذا ما دفعهم للتفكير في علم يعمل على دراسة المجتمع

هذا فيما يخص رؤية عن فلسفتهم الاجتماعية ومنهجهم أما عن التشابه في الجانب التربوي، فكلاهما أولى أهمية لتعليم مختلف العلوم.

كلاهما أسس فكره التربوي انطلاقا من تجاوز الأنظمة السابقة وتقديم بديل يتماشى مع متطلبات عصر كل منهما فابن خلدون يرى أن المعلمين في زمانه غير محيطين بمبادئ

---

[1] نذير الزريبي، الوجيز في علم الاجتماع (نظريات اجتماعية)، المرجع السابق، ص56.

[2] عبد الحليم عويس، التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، المرجع السابق، ص43.

[3] محمد وقيري، ما هي الإيستمولوجيا؟، المرجع السابق، ص286.

العلم وطرق إفادته، وهذا ما جعل النظام التربوي يتراجع، وإلى نفس الرأي يذهب أوغست كونت بالقول أنه لابد من تجاوز نظام التعليم اللاهوتي والميتافيزيقي واستبداله بتعليم وضعي يتماشى مع متطلبات العصر الحديث.

كلاهما أقام التربية على ضرورة صلاح أخلاق الفرد ليصلح المجتمع اعتبارا أن الإنسان كائن اجتماعي يؤثر في مجتمعه ويتأثر به، وفي حديث ابن خلدون عن الأخلاق يقول "إذا فسد الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة"[1]، كما يرى أوغست كونت هو الآخر أن إصلاح المجتمع متوقف على صلاح أخلاق الفرد لأنّ هذه الأخيرة ستنعكس على محيط الفرد الاجتماعي من خلال تعامله مع أفراد المجتمع، وهذا ما جعله يرى أن إصلاح المجتمع لا بد أن ينطلق أولا من إصلاح الفوضى الأخلاقية والعقلية في المجتمع.

كل من ابن خلدون وكونت اهتما بتربية الصغر لما لها من وقع على شخصية الأفراد فقد عمل ابن خلدون على الاهتمام بنفسية الطفل من خلال نبذه للشدة على المتعلم لاسيما في أصاغر الولد، فهو يرى أن الملكات التي تتكون في الصغر أشد رسوخا، والشدة ينتج عنها تشكل أخلاق ذميمة، لهذا نهى ابن خلدون على مثل هذه التصرفات لما لها من إفساد لشخصية الطفل وأخلاقه، وكونت هو الآخر يرى أنّ لتربية الصغر دور في زرع عاطفة المحبة في الأطفال إذ تعتبر من الأوليات التي ينبغي أن تتوفر في عملية التربية لأن زرع مثل هذه الصفات الإيجابية في الفرد ستطور أخلاقه من أخلاق فردية إلى أخلاق اجتماعية وبالتالي ستستقيم معاملة الفرد لأبناء جنسه، لما سيسود من احترام داخل المجتمع، فمثلما يولي ابن خلدون التربية الأولى إلى الأهل يوليها كذلك أوغست كونت إليهم إذ يرى أن "الأمهات اللاتي تلقين تربية وضعية صحيحة يتمكّن من تربية أولادهن والإشراف على تربيتهم في المرحلة الإعدادية الأولى بدلا من ذهابهم إلى المدارس."[2]

كما نجد أن كلاهما اعتبر أن التعليم ضروري في المجتمع وحاجة الفرد إليه كبيرة، إذ يرى ابن خلدون أن التعليم ضروري في المجتمع وأوغست كونت هو الآخر رأى أن التعليم

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص349.

[2] عباس عمر علي الحسين، الفلسفة الاجتماعية بين ابن خلدون وأوغست كونت دراسة تحليلية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم، إشراف صبري محمد خليل، 2008، ص93.

ضروري لكافة الأفراد ففي نظره أنه لابد "على الدولة أن تتيح التعليم لهؤلاء الذين لا يستطيعون تحصيله على نفقتهم الخاصة"[1]، وهكذا نجد أنّ كلاهما أكد على ضرورة التعليم في المجتمع.

وكذلك كلاهما أكد على أن يكون التعليم شاملا فابن خلدون بالرغم من أنه نهى عن خلط الأمور على المتعلم، وقال أن لا يخلط على المتعلم علمين، لكن هذا ليس معناه أنه يرفض الاطلاع على باقي المعارف وإنما حدد شرطا لذلك، إذ رأى أنه لابد أن تراعى قدرات الفرد، لذا ينبغي على المعلم أن يدرّس للمتعلم علما واحدا وعند الانتهاء منه ينتقل به إلى علم آخر، وهو بهذا لم يرفض الاطلاع على العلوم وإنما قال بضرورة مراعاة قدرات الفرد فحسبه الملكات لا تتزاحم، وإنما ينبغي أن تتكون لدى المتعلم ملكة وبعد ترسخها ينتقل إلى تكوين ملكة أخرى.

وفي نفس رأي الاطلاع على كل المعارف يرى كونت أن الأفراد الذين لم يطلعوا على بقية المعارف التي تسبق التخصص الذي هم بصدد دراسته فقد خرقوا شرطا مهما من شروط تطورهم الفكري.

كما نجد كذلك أن كل من ابن خلدون وكونت أكد على أهمية المدرسة وذلك لما يتلقى فيها المتعلم من علوم من عند المعلم، ويظهر هذا جليا عند ابن خلدون من خلال حديثه عن الرحلة في التعليم إذ رأى أن "الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2]، وهنا ابن خلدون يؤكد على ضرورة التتلمذ لماله من فائدة إيجابية على المتعلم، والتتلمذ إنما يكون في المدرسة على يد المعلم.

كما ينظر كونت إلى المدرسة على أنها ركن أساسي في التعليم لما يتلقاه المتعلم على يد المعلم هناك، ويظهر هذا من خلال اهتمامه "بالمراكز التي يجب ملئها في مدرسة البوليتكنيك"[3]، فاهتمامه بهذه المدرسة ليس من منطلق لقاء الأجر المادي باعتباره كان يعمل بها، وإنما اهتمامه ينم على أهمية التعليم عنده، وذلك النوع من التعليم الذي أراده لن يكون إلا في المدرسة.

---

[1] فاروق عبد المعطي، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الحديث، المرجع السابق، ص76.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 542.

[3] بيار ماشيري، كونت الفلسفة والعلوم، المرجع السابق، ص66

– من خلال حديثنا عن أوجه التشابه بين فلسفة ابن خلدون وكونت، بما في ذلك فلسفتهما التربوية توصلنا إلى ما يلي:

انطلاقا من نظرة كل من ابن خلدون وكونت الإصلاحية نجد أن كل منهما يربط العديد من أفكاره بالمجتمع لينتظم هذا الأخير.

يتفق كلاهما في المنهج العلمي، إذ نجد تشابه كبير بين المنهج العلمي عند ابن خلدون وعند كونت.

كلاهما تواجدا في عصر سادت فيه الفوضى والاضطراب وبالتالي قام كل منهما لإيجاد حل لتحسين أوضاع المجتمع وهذا الحل تمثل في تأسيس علم الاجتماع لدراسة المجتمع وظواهره.

كلاهما أراد تجاوز الوضع القائم في المجتمع، فنجدهما قد عملا على تقديم نظام وأفكار جديدة تقوم محل الأنظمة والأفكار السابقة.

ومن الناحية التربوية، فكلاهما اهتم بتعليم العلوم والمدرسة وتعليم الصغر، الذي يقوم على أساس التعليم الأسري أولا، كما أنّ كلاهما أكد على التعليم الشامل بالرغم من أن ابن خلدون كان له رأي يتسم بالغموض في هذا الجانب، لكن من خلال حديثه عن دور الرحلة في التعليم يقر أنه لا بد على المتعلم أن يتعرف على كافة مناهج التعليم وما إلى ذلك إضافة أن تعليمه الموسوعي ينعكس على رؤيته لهذا الجانب.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف

يعتبر الاختلاف في الآراء ووجهات النظر من أهم ميزات الجنس البشري، إذ نجد أن لكل إنسان رأي يختلف عن الآخرين من منطلق أن لكل إنسان تفكيره ورؤيته الخاصة للأمور، وهذا الاختلاف إنما يرجع بطبيعة الحال إلى عدة عوامل من بينها اختلاف البيئة والعصر والدين وغيرها من العوامل الأخرى وعليه نجد أن ابن خلدون وكونت بالرغم من الأمور المشتركة بينهما، إلا أنهما يختلفان في العديد من الأمور ومن هنا نتساءل: ما هي أهم نقاط الاختلاف بين ابن خلدون وأوغست كونت؟

للحديث عن نقاط الاختلاف بين ابن خلدون وكونت، لابد أن ننطلق من تحديد البيئة والمرجعية الدينية لكل فيلسوف، لأن هذه الأمور ستنعكس على تفكير الفيلسوف.

يختلف ابن خلدون عن أوغست كونت من الناحية الدينية، فابن خلدون عربي مسلم وهذا الأمر لابد أن ينعكس على فلسفته، سواءا على فلسفته ككل أو على فكره التربوي، ففي فلسفته ككل نجده قد أخذ بعين الاعتبار مرجعيته الدينية، لهذا يولي أهمية كبيرة للدين، وهذا من خلال حديثه مثلا عن العلوم النقلية وأهميتها في الدين الإسلامي.

-أما من الناحية التربوية فانعكاس الدين يظهر من خلال حديثه عن أهمية تعليم القرآن وفوائده على شخصية المتعلم، فقد أشرنا سابقا في حديثنا عن التربية عند ابن خلدون، أن هذا الأخير اعتبر تعليم القرآن "شعار من شعائر الدين"، لما له من أثر في تهذيب النفوس وتقويم السلوك وغيرها من الصفات الإيجابية الناتجة عن تعلم القرآن.

-وبالتالي نستنتج أن ابن خلدون يقيم التربية على أساس الدين قبل كل شيء، صحيح أنه لم يتناول هذا الموضوع كمسألة فقهية لكنه لم يتجاوز فكرة أنه لابد من الوقوف على تعليم الدين الحنيف قبل كل شيء.

-في حين نجد أن أوغست كونت أقام تربيته على أساس وضعي، يبتعد عن تعاليم الدين بالرغم من تأثره بتعاليم الكاثوليكية وأخلاقها، لكنه أعلن كفره منذ صغره، وبالتالي نجد أنه أقام التربية على أساس علمي من جهة وعلى أساس أخلاقي من جهة أخرى دون ربطها بدين معين.

-تظهر لنا اختلافات أخرى كذلك بينهما نذكر العصر الذي تواجد فيه كل منهما، فإن ابن خلدون تواجد في القرن 14ميلادي بينما كونت كان في القرن 19 ميلادي.

فالمدة الزمنية بين الفيلسوفين ما يقارب الخمس قرون، وكلما تباعدت المدة الزمنية بين الفيلسوفين تغيرت أنماط الحياة وكذا متطلبات العصر وحاجيات المجتمع، وبالتالي متطلبات عصر ابن خلدون ليست هي نفسها، متطلبات عصر كونت، حتى الإمكانيات التي لم تكن متوفرة في عصر ابن خلدون توفرت في عصر كونت، بحيث بلغت العلوم مرحلة كبيرة من التقدم آنذاك، نظرا لأنه عصر التطور والتكنولوجيا وتقدم الصناعات وغيرها، وهذا ما جعل كونت يولي أهمية كبيرة للعلوم الأساسية المرتبطة بالجانب العلمي وعزوفه عن تعليم الآداب

إضافة إلى اختلاف بيئة ابن خلدون عن كونت، وعندما تختلف البيئة ستختلف بالضرورة العادات والتقاليد الاجتماعية التي تحكم المجتمع وتسيطر على تفكيره وهذا سينعكس على الوضع التربوي.

-يختلف ابن خلدون عن كونت من ناحية الأسباب التي دفعتهما إلى إنشاء علم الاجتماع لدراسة الظواهر الاجتماعية، إذ نجد أن "ابن خلدون دعاه إلى ذلك حرصه على تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة، وعلى إنشاء أداة يستطيعون بها الباحثون والمؤلفون في علم التاريخ أن يميزوا بين ما يحتمل الصدق، وبين ما لا يكون صادقا من الأخبار المتعلقة بواقعات العمران"[1] .

-بينما نجد أن أوغست كونت أقام هذا العلم من "حرصه على إصلاح المجتمع وتخليصه من عوامل الاضطراب والفساد، وذلك عندما رأى أن المجتمع الإنساني في عصره يشمله الفساد في مختلف فروعه، وأن السبب الرئيسي في فساده يرجع إلى فساد الأخلاق والسبب في فساد هذه الأخيرة يرجع إلى فساد التفكير واضطراب طرق الفهم[2]."

-وهكذا نستنتج أنه بالرغم من أن كلاهما أسس هذا العلم لدراسة الظواهر الاجتماعية إلا أن الأسباب التي دفعت كل منهما إلى تأسيسه مختلفة.

- لقد اختلف كل من ابن خلدون وكونت من ناحية "أقسام الدراسة في علم الاجتماع."[3]

---

[1] عباس عمر علي الحسين، الفلسفة الاجتماعية بين ابن خلدون وأوغست كونت، دراسة تحليلية مقارنة، المرجع السابق ص107.

[2] المرجع نفسه، ص ص107- 108.

[3] المرجع نفسه، ص 140.

إذ نجد أن ابن خلدون "قد قسم موضوع علم الاجتماع أو علم العمران كما يطلق عليه أقساما بضم كل قسم منها طائفة من الظواهر الاجتماعية المتجانسة في طبيعتها."[1]

-كما عمل ابن خلدون في دراسة كل "طائفة من الظواهر الاجتماعية بالمزج بين الناحية الديناميكية والإستاتيكية، فكان يدرس الظاهرة محللا أجزائها وعناصرها ووظائفها، ويدرس في نفس الوقت تطورها والقوانين التي تخضع لها في التطور".[2] وبالتالي ابن خلدون هنا قد عمل على المزج بين صنفين من الدراسة في علم الاجتماع ولم يفصل بينهما. ينما نجد أوغست كونت قسم علم الاجتماع إلى "قسمين رئيسيين"، سمى الأول الديناميكا الاجتماعية وسما الثاني الإستاتيكا الاجتماعية.[3]

- من خلال ما تطرقنا إليه في هذا المبحث توصلنا إلى بعض نقاط الاختلاف بين ابن خلدون وأوغست كونت نختصرها في الآتي:

-أن الأول نقاط الاختلاف بين ابن خلدون وكونت هي من ناحية الدين والعصر والبيئة فهذه الأمور مختلفة بين ابن خلدون وكونت، ومتى اختلفت هذه الأمور ستختلف العديد من الأمور في فلسفتهما بصفة عامة وفلسفتهم التربوية بصفة خاصة، لأن النقاط التي ذكرناها ستنعكس بشكل أو بآخر على حياتهم وفلسفتهم.

-يختلفان من ناحية الأسباب التي دفعتهما إلى إنشاء علم الاجتماع، كما يختلفان كذلك في تقسيمهما لهذا العلم، إذ نجد أن ابن خلدون قد مزج بين الإستاتيكا والديناميكا، لكن كونت قد فصل بينهما بالرغم من أن تقسيمه لموضوع علم الاجتماع لم يقصد به الفصل بين علم الاجتماع الاستاتيكي وعلم الاجتماع الديناميكي، لكن في نهاية المطاف فصل بينهما نوعا ما، سواء بوعي منه أو بدون قصد.

-كما يختلفان في بعض الأمور التربوية والتعليمية فنجد أن ابن خلدون يعطي أهمية لدراسة الآداب بينما يتجه كونت نحو الاهتمام بالعلوم الطبيعية على حساب العلوم الأخرى متناسيا الدور الذي تلعبه هي الأخرى في تطور فكر الإنسان.

---

[1] عباس عمر علي الحسين، الفلسفة الاجتماعية بين ابن خلدون وأوغست كونت، المرجع السابق، ص140.

[2] المرجع نفسه، ص140.

[3] المرجع نفسه، ص140.

المبحث الثالث: أراء نقدية

-تعرف عملية النقد بأنها أداة لتحليل وتقييم مختلف الأعمال سواءا كانت لفلاسفة أو علماء أو غيرهم يهدف الوقوف على تغيرات هذه الأعمال، فليس هناك عمل أو بحث يخلو من الانتقادات، وإن كان لفلاسفة فهم في نهاية المطاف بشر والإنسان يخطئ ويصيب، وعليه من بين الذين تطرقوا للنقد ابن خلدون وكونت، ولتعرف على أهم الانتقادات التي وجهت لهم نتساءل: ما هي أهم الانتقادات التي وجهت لابن خلدون وأوغست كونت؟

1-الانتقادات الموجهة لابن خلدون:

يعتبر عبد الرحمن بن خلدون واحدا من أعظم الشخصيات في التاريخ، وهذا لعبقريته ونباهته، وكذلك لإنتاجه الضخم المتمثل في كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، والذي ألق به مقدمة تعتبر أضخم مقدمة في تاريخ البشرية مثلما يذكر الباحثون وليس هذا فحسب وغنما تعتبر من أعظم إنتاج الإنسانية حيث ضم فيها المؤلف العديد من العلوم، وشرح فيها العديد من المسائل، ووضح فيها العديد من الأمور، ولكن بالرغم مما قدمه، إلا أن هناك العديد من الباحثين والدارسين لفكره قدموا له جملة من الانتقادات.

-وحسب ما ورد في العديد من الدراسات من انتقادات وجهت للعلامة ابن خلدون سواءا من قبل العلماء العرب أو الغرب نجد أن هذه الدراسات تقريبا تنحصر في هذه الجوانب المهمة وهي: "مقوله العرب عبد ابن خلدون، ونظرية العصبية ومنهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية، ونظرية الدولة ونشوئها واستمرارها واندثارها"[1]، فأهم الانتقادات التي وجهت له، كانت لهذه الأمور المذكورة.

والأن سنقوم بعرض المواقف التي نقدت ابن خلدون وهي كالآتي:

-موقف علي أومليل (1940):

[1] سعودي أحمد، قيمة الفكر الخلدوني بين مؤيديه وخصومه لدراسة نماذج، ملجة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي على كافي تندوف-الجزائر، العدد02، 2021، ص51.

لقد قام الدكتور علي أومليل بنقد ابن خلدون وذلك في رسالة لدكتوراه، بعنوان الخطاب التاريخي، دراسة منهجية ابن خلدون حاول فيها بكل ما يستطيع من تحليل وإسقاط فكري تجريد ابن خلدون من كل أشكال الريادة في رأيه ومروياته ومنهجه".[1]

فبالرغم من أن أومليل اعترف بتأسيس ابن خلدون لعلم الاجتماع ولفلسفة التاريخ، لكنه يرى أن "قيام فلسفة التاريخ بمعناها الدقيق أي تلك الطريقة العصرية في التاريخ بصفة معطيات موضوعية، وكعنصر فاعل في التفكير والمبادئ المحركة له ولغاياته، هي مسألة مرتبطة تاريخيا بتطور الفكر الغربي وخاصة منذ القرن 18م"[2]، وهو بهذا قد عمل على إبقاء "ريادة ابن خلدون لفلسفة التاريخ ولكنه نفى عنه التعمد في نشأتها وتأصيل مناهجها"[3]

وليس هذا فحسب، وإنما عمل أومليل كذلك على نقد ابن خلدون من ناحية علم الاجتماع، لأن ما هو متعارف عليه أن ابن خلدون هو المؤسس والرائد الأول لعلم الاجتماع وقد كان سباقا قبل كونت في تأسيسه لهذا العلم بما يقارب الخمس القرون، إلا أننا نفهم من خلال رأي أومليل أنه رافض للقول بأن تأسيس علم الاجتماع يعود لأبن خلدون وفي هذا يقول أومليل:" فهناك من يؤكد تأكيدا جازما أن ابن خلدون هو مؤسس العلوم الإنسانية والاجتماعية وخالقا التاريخ العلمي وعلم الاجتماع كذلك أصبح من الرائج القول بأن علم العمران الخلدوني هو نفسه السوسيولوجيا بالمعنى المحدد لهذا العلم[4]، لكن حسب رأي أومليل بالرغم من تأكيد الكثير من العلماء والباحثين أن ابن خلدون هو الرائد لهذه الميادين ومؤسسها إلا أنه في نظر الدكتور أومليل: أن هذه السوسيولجيا قبل كل شيء كانت علم هذا المجتمع المدني الذي خلفته الطبقة الوسطى الغربية بثورتها وإقامته على أنقاض النظام القديم، وكان هدف السوسيولوجيا هو إعادة تنظيم مجتمعها الجديد، إن أوغست كونت مثل سان سيمون ومثل دوركايم فيما بعد، يبررون جميعا العلاقة بين ميلاد هذا العلم الجديد والأزمة الكبرى التي عرفتها أوروبا الغربية.[5]

---

[1] سعودي أحمد، قيمة الفكر الخلدوني بين مؤيديه وخصومه لدراسة نماذج ،المرجع السابق، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص52.

[3] المرجع نفسه ص 52.

[4] علي أومليل، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط3،1985، ص ص220– 221.

[5] المرجع نفسه، ص221.

وهكذا يتبين لنا أن علي أومليل عمل على نسبة التاريخ أو علم الاجتماع إلى الغرب فقط، متناسيا الدور الكبير لابن خلدون قبل الغرب وريادته لهذه الميادين بالرغم من أنه اعترف أن لابن خلدون نصيبا في ريادة هذه المجالات لكن التقليل من دوره وأسبقيته قبل الغرب في التأسيس كان واضحا

موقف طه حسين(1889-1973م):

-يعد طه حسين من أهم الذين انتقدوا ابن خلدون حيث وجه لهذا لأخير جملة من الإنتقادات فيما يخص نظرياته وفلسفته وهذا من خلال إعداده " أطروحة دكتوراه في العقد الثاني من هذا القرن كتبها بالفرنسية عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وقد اعتمد فيها على مجموعة من الأفكار شديدة النقد بما كتبه ابن خلدون في العديد من القضايا[1] ومن أهم الأمور التي أعادها طه حسين على ابن خلدون الأوصاف التي قدمها العلامة للعرب، إذ "يرى طه حسين أنه أي -ابن خلدون- قصد بأقواله تلك تحقير العرب والنيل من إنجازاته مما جعله يقرر بأنها لم تكن سوى حملة خاطئة في حقهم."[2]

كما يرى طه حسين كذلك أن أهم ما قدمه ابن خلدون "ليس وصفه لأسس علم الاجتماع ومنهج في فلسفة التاريخ الحضري، ومبادئ التربية وتخطيط المدن، بل في مكان آخر حيث رأى أن طريقته تعظم حين يتكلم في المسائل السياسية وفي القراءة في السياسة عن الأخلاق وعلم الكلام والفقه بعد أن كانت إذا عهده ممتزجة بهما"[3].

ومن هنا نجد أن طه حسين قام بحصر كل عبقرية العلامة ابن خلدون في مجال واحد وهو المجال السياسي، بالغرم من أن العلامة عبد الرحمان ابن خلدون قد صال علما أو أمرا لم يفرج عليه.

وبالتالي فرؤية طه حسين هذه إنما هي "إفقار لصاحب المقدمة، وغمط لحقه في ابتداعه لعلم جديد ولأول مرة كانت تتوفر منه شظايا وملحوظات جزئية قبله، إلا أنه ابتكر منهج هذا

---

[1] سعودي أحمد، قيمة الفكر الخلدوني بين مؤيديه وخصومه لدراسة نماذج، مجلة العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص ص53 54.

[2] الرجع نفسه، ص54.

[3] المرجع نفسه، ص54.

العلم ونظم مسائله وأطلق عليه اسم دراسة العمران البشري والاجتماع الإنساني"[1]، وقد أشرنا لهذه الفكرة في الفصل الأول من خلال حديثنا عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية إذ رأينا أن العلامة ابن خلدون كان مدركا أنه يؤسس لعلم جديد لم يسبقه في تأسيس هذا العلم أحد وإنما ما كان سائدا قبله كان إشارات متفرقة فقط وليس هناك من قال به كعلم مستقل ويعبر ابن خلدون عن هذا بالقول الآتي "واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص."[2]

-ويؤكد ابن خلدون في الكثير من المواضع تأسيسه لهذا العلم فيقول كذلك "ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما وأعثرنا على علم جعلنا سن بكره وجهينة خيره"[3] وهكذا قد أكده ابن خلدون العديد من المرات على تأسيسه لهذا العلم لكن الدكتور طه حسين والكثير من النقاد لفكر ابن خلدون ينفون نسبة هذا العلم له ودائما ما نسبوه إلى الغرب بالرغم من أن ابن خلدون كان سابقا قبل الغرب في التأسيس بمدة ليس بالقصيرة.

-ويتبين لنا أن طه حسين قام بنقد الفكر التربوي كذلك لابن خلدون إذ عمل على دمجه مع كل الميادين التي قام بنقدها والانتقاص من قيمتها، بحيث يذكر طه حسين العديد من القواعد التربوية التي قال بها ابن خلدون ويقاربها مع العديد من النظريات المعاصرة، ومن خلال عرضه لبعض نظريات ابن خلدون التربوية تبين له أنه "لا ريب في أن ابن خلدون لم يتعمق في بحث مسألة التربية ولم يعالجها إلا عرضاً."[4]

وبالتالي كانت هذه أهم الانتقادات التي وجهها طه حسين لابن خلدون، ولا تزال هناك العديد من الانتقادات الأخرى التي وجهها له في ميدان الفلسفة والتاريخ وغيرها.

---

[1] سعودي أحمد، قيمة الفكر الخلدوني بين مؤيديه وخصومه (دراسة لمناهج) المرجع السابق، ص54.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص49.

[3] المصدر نفسه، ص51.

[4] طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تحليل نقد، تر: محمد عبد الله عنان، القاهرة، د.س.

3- موقف محمد عبد الله عنان (1896-1986م):

يعتبر المؤرخ المصري محمد عبد الله عنان من بين الذين نقدوا ابن خلدون من خلال كتابه "ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، وصف فيه ابن خلدون بالكبرياء والطمع وحب التقلب وشغف الدّس، وانتهاز الفرص".[1]

وبهذا نجد أن المؤرخ قد بالغ في تشويه صورة ابن خلدون، فأغلب الاتهامات التي وجهها عبد الله عنان للعلامة غالبا ما هي إلا انتقاص من قيمة ابن خلدون، فالعلامة يذكر في سيرته أنه كان هو من كان محاط بالتقلبات والمكائد لدرجة أن هروبه من السياسة كان لهذه الأسباب ولطالما كان علمه الوحيد حسب قوله هو التحصيل العلمي وليس الطمع في السلطة أو الجاه وبالتالي نستنتج.

- أن محمد عبد الله عنان قد بايع في تسويته صورة ابن خلدون لدرجة أنه جرّد العلامة "من عروبته ووصفه بالبربري"[2]، لهذا نجد أن المؤرخ يثني على أسلوب المقدمة إذ رأى أنها "تمتاز بروعة أسلوبها الأدبي وهي مثل على للتفكير الناضج والابتكار الفائق، لكنه لا ينكر أن أسلوبها يتخلله الكثير من الأخطاء، ويعيد السبب في ذلك إلى أن نشأة ابن خلدون البربرية وتثقفه بآداب المغرب والأندلس".[3]

- ومن هنا نستنتج أنه حتى في تثمينه لأسلوب ابن خلدون وضعه في قالب النقد، وذلك كما رأينا من خلال حديثه عن نشأة ابن خلدون، والتي وضعها بأنها نشأة بربرية.

04- موقف محمد عابد الجابري: (1935-2010م)

لقد عمل المفكر المغربي محمد عابد الجابري هو الآخر بنقد ابن خلدون في كتابه" فكر ابن خلدون الصبية والدولة بالتاريخ"[4]حيث وصفه في مقدمته بأنه خبر للاجتماع الإنساني لكن بالرغم من اعتراف الجابري يتعلق ابن خلدون بتاريخ إلا أننا نجده يهاجمه هو

---

[1] سعودي أحمد ، قمة الفكر الخلدوني بين مؤيديه وخصومه، دراسة بنماذج، المرجع السابق، ص55.

[2] المصدر نفسه، ص55.

[3] المرجع نفسه،ص ص55-56.

[4] المرجع نفسه، ص56.

الآخر حيث يرى أن" صاحب المقدمة لم يعمد إلى كتابة التاريخ، بل إعادة كتابته فقط لمجرد الصدفة أو بدافع التسلية، أو فقط من أجل تسجيل أخبار الدول"[1].

وهكذا يتبين لنا أن الجابري عمل على تقليص دور ابن خلدون في مجال التاريخ، ولم يعطه حقه، بالرغم من أن ابن خلدون يوضح في مقدمته من خلال حديثه على فضل التاريخ أنه حاول إعادة النظر في هذا المجال، فحسبه المؤرخون الذين سبقوه كان يعتمدون على مجرد نقل الأخبار ربما دون التأكد منها ويعطي مثالا عن أحد المؤرخين الذين سرد أمورا لها علاقة ببني إسرائيل وبالتالي ابن خلدون حاول أن يقيم التاريخ على أساس صحيح وموضوعي، لكن بالرغم من محاولته إلا أنه لم يسلم من النقد حتى من قبل الغرب كيف هو الحال مع الغرب.

كما انتقده كذلك من ناحية علم الاجتماع، حيث نجده يعارض كل من يقول أن "ابن خلدون سبق زمانه وتخطى عصره ليكون هو الرائد والمؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، قبل عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم".[2]

وهنا نجده ينفي على الأغلب نسبة علم الاجتماع إلى ابن خلدون بالرغم من إسهامه السوسيولوجي، الذي تطرقنا لبعض نقاطه في الفصل التمهيدي، وعملنا على توضيح أهميته كما عملنا كذلك على إبراز الجحود الذي لقيه ابن خلدون من قبل علماء الغرب، إذ عملوا على نسبة هذا العلم لهم، لكن من خلال وقوفنا على بعض الآراء النقدية، تبين لنا أن العرب كذلك هاجموا ابن خلدون وحاولوا تجرديه لقب عالم اجتماع أو حتى كرائد لفلسفة التاريخ.

هذا فيما يخص بعض الآراء النقدية التي وجهت لابن خلدون من قبل العرب، وفيما يلي سنقف على موقف نقدي من قبل العرب.

- موقف البارون دي سلان

عمل هذا المستشرف الفرنسي بترجمة مقدمة ابن خلدون إذ "ألحق بترجمته للمقدمة معجما لألفاظها، وفيما يتعلق الفصل الذي عنوانه (فصل أن جيل العرب في الخلقة طبيعي) يقرر أن لفظ العربي الذي استعمله ابن خلدون وقد عنى به البدو والرحل"[3]

---

[1] سعودي أحمد، قيمة الفكر الخلدوني بين مؤيديه وخصومه (دراسة نماذج)، مرجع سابق، ص56.

[2] المرجع نفسه، ص56.

[3] المرجع نفسه، ص57.

–من خلال هذا القول نستنتج أن نقد أو موقف البارون دي سلان من ابن خلدون، كان يرمي إلى نفس ما ذهب إليه طه حسين إذ أن هذا الأخير اعتبر ابن خلدون قد قلل من قيمة العرب في حديثه ووصفه لهم، نفس الأمر بالنسبة لهذا المستشرف وكأنه يريد أن يثبت فعلا أن حديث ابن خلدون عن العرب كان للتقليل من شأنهم.

–هذا فيما يخص بعض الإنتقادات التي وجهت لابن خلدون في مجال التاريخ وعلم الاجتماع، واعتبارا أن التربية ظاهرة اجتماعية عند ابن خلدون ستنال نفس النقد الذي لقيه علم الاجتماع، وأهم نقد وجه لها ما قاله طه حسين أن ابن خلدون لم يتعمق في حديثه عن التربية.

كما وجهت له بعض الانتقادات في مجال التربية لعل أهمها أن ابن خلدون وقع في التناقض، فمن جهة رأى" إن تعليم المتعلمين علمين في وقت واحد يشغل المعلمين ويعرضهم للفشل والإحباط وذلك لأن عقل الإنسان محدود وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم في وقت واحد"[1].

ومن جهة أخرى يقول بضرورة الرحلة للتعرف على جميع مناهج العلمين وطرقهم، وهذا بطبيعة الحال لن يكون في علم واحد وإنما في عدة علوم، وبعيدا عن تعدد العلوم فتعدد المناهج لوحده يخلط على المتعلم الأمور وبالتالي لن يستطيع الإحاطة بجميع طرق ومناهج المعلمين

2– الانتقادات الموجهة لأوغست كونت

يعتبر الفيلسوف الوصفي أوغست كونت من بين الفلاسفة الذين حاولوا أن يصلحوا الواقع الاجتماعي من خلال تأسيس فلسفة وصفية، تقوم على أساس علمي واقعي وتعرف عن كل ما هو ميتافيزيقي وخيالي في جميع جوانب الحياة.

وكذلك تأسيسه لعلم الاجتماع كان من منطلق دراسة الوضعية الاجتماعية، إلا أنه تعرض لحملة من الانتقادات هو الآخر.

[1] حورية جميلة تيقرين، آراء ابن خلدون التربوية ودرجة اتفاقها مع التربية الحديثة، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة (الجزائر)، مج05، العدد 01، 2022، ص13.

فهناك الكثير من الباحثين والمفكرين عملوا على توجيه إنتقادات عديدة لفلسفته الوضعية، وبما أن التربية عنده مستخلصة من هذه الأخيرة ستنال من نفس ذلك النقد، وفيما يلي ستقدم بعض الآراء النقدية التي وجهت له.

- **موقف روجيه غارودي(1913-2012):**

يعتبر الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي من أهم نقاد الفلسفة الوضعية لعدة اعتبارات إذ يرى أن "الفكر الوضعي مظهرا من مظاهر التأزم في الفكر الغربي وفي نفس الوقت سببا للأزمة التي تعاني منها الحضارة الغربية المعاصرة"[1]

ورغم إيجابيات الفلسفة الوضعية في العصر الحديث المتمثلة في كونها" تعبير عن روح هذا العصر التي طغت على الحضارة الغربية، وهي الروح المادية، التي ظهرت كنتيجة لتطور العلم الطبيعي"[2]، إلا أن ما يعاب على الوضعية بالنسبة لغارودي أو غيره من النقاد أن "الفلسفة الوضعية اختزلت الوجود فيما هو مادي، أي في الوجود الطبيعي، والإنسان ليس جزءا من هذا الوجود، ومن ثمة رأت أن مهمة العلم تقتصر على دراسة المادة/الطبيعة، وعلى التقصير المادي الوضعي للظواهر، بما فيها الظواهر الإنسانية"[3]

ولم تتوقف سلبيات هذه الفلسفة هنا، وإنما "جعلت التقدم العلمي والحضاري رهين بالقطيعة مع التفكير ما قبل الوضعي، فكان ذلك التوجه إيذانا بانفصال العلم عن الحكمة وعن الميتافيزيقا، وعن الدين، والأسطورة، والقيم، ومنذ ذاك دخلت علوم الإنسان في أزمة، متأثرة بهذه الفلسفة الوضعية"[4].

والفلسفة الوضعية يفصلها العلم عن كل الميادين قد بالغت في هذا، لأن الإنسان يعيش داخل مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به وبالتالي سيادة باقي الأنظمة في المجتمع، ستؤثر على كل أفراد هذا الأخير والعلم لن يكون بإمكانه أن يرغم الجميع على اتخاذ التفكير العلمي السبيل

[1] الشريف طوطاو، الفلسفة الوضعية وأزمة علوم الإنسان من منظور "روجيه غارودي" نحو أفق فلسفي وإيستومولوجي بديل، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة خنشلة، مج15 العدد28، 2018، ص08.

[2] المرجع نفسه، ص08.

[3] المرجع نفسه، ص 08.

[4] المرجع نفسه، ص ص08-09.

الوحيد للحصول إلى الحقائق، فالإنسان في أي مجتمع كان لابد أن يجد نفسه بعيدا عن العلم في تفسير الكثير من الأمور.

ويحدد روجي غارودي سلبيات ونقائص هذه الفلسفة باختبارها بما يلي:

الاختزالية: هذه الفلسفة حسب غارودي هي فلسفة مادية "نظرت إلى موضوع العلم على أنه شيء مادي قابل للملاحظة الحسية والتجريب، وقابل للقياس والتقدير الكمي، سواء تعلق الأمر بالعلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية، وما يهمنا هنا هو الأخيرة منها، أي علوم الإنسان"[1]

وهي بهذا قد عملت على حصر كل شيء في الجانب العلمي فقط، إذ" اختزلت هذه العلوم أبعاد الإنسان المختلفة التي تشكل إنسانية الإنسان وتميزه عن غيره من الموجودات في بعد واحد وهو البعد المادي، وبذلك أقصت وتجاهلت أبعاده المعنوية والكيفية".[2]

- **التشيؤ وفقدان المعنى:**

لطالما نظر كونت إلى الفلسفة الوضعية أو العلم الوضعي على أنه الحل الوحيد للفوضى العقلية والأخلاقية السائدة في المجتمع، وفي رأيه أن هذا "العلم هو مصدر كل قيمة، وأنه القادر على تزويد الإنسان بالرؤية السليمة للأشياء، وأنه سيحقق للإنسان السعادة والتقدم، بالتحكم في الطبيعة، وتسخيرها لصالحه بل وهزيمتها تماما"[3].

وهذا الاعتقاد الذي اعتمده كونت أو حتى أنصار الوضعية فيما يخص العلم الوضعي نتج عنه " تحول العلم إلى علموية، أي إلى نزعة شمولية(كليانية)، وثوقية ودوغمائية (قطعية)، ويعتبر غارودي تحول العلم إلى مذهبية (إيديولوجيا) شكل من أشكال الأصولية باعتبار أن الأصولية عنده هي نزعة قطعية مذهبية تمامية دوغماتية مغلقة تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة، ومن ثمة فهي تسعى إلى فرض منطقتها على الآخرين بشتى الوسائل".[4] وهذا ما فعله أنصار المذهب الوضعي.

---

[1] الشريف طوطاو، الفلسفة الوضعية وأزمة علوم الإنسان من منظور "روجيه غارودي" نحو أفق فلسفي وإيستومولوجي بديل، مجلة العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص13

[4] المرجع نفسه ص13.

التبرير: حسب روجي غارودي تندرج "الفلسفة الوضعية ضمن الفلسفات التبريرية المحافظة وهي التي ترمي إلى المحافظة على الواقع وتبرير الأوضاع القائمة، على اعتبار أن هذه الأوضاع هي تعبير عن تقدم العقل في حين يذهب غارودي على العكس من ذلك إلى ضرورة التغيير بل الثورة على الأوضاع القائمة وعلى النموذج الثقافي والحضاري الغربي بكامله"[1]

والمقصود هنا أن الفلسفة الوضعية بقيت حبرا على ورق وحسب غارودي لم يحدث التغيير الذي نادت به، وإنما بقيت أفكار كونت مجرد أفكار لم تطبق على أرض الواقع.

–وهكذا حتى أفكاره التربوية ربما بقيت مجرد أفكار ولم تطبق، إضافة إلى أنه بالغ في الرفع من قيمة العلوم الطبيعية على حساب الآداب في مجال التعليم، وهو بهذا أخذ عين الاعتبار نزعته العلمية متجاهلا الدور الكبير الذي تلعبه باقي العلوم في تشكيل فكر الأفراد.

كما وجهت له العديد من الانتقادات الأخرى فيما يخص فلسفته، إذ اعتبر العديد من النقاد أن أفكار أوغست كونت" لا تستحق أكثر مما تستحق حكايات القصاصين الخرافيين، الذين يصنعون من الأوهام حكاياتهم"[2]

ففي نظر هذا الرأي أن أوغست كونت "قد بهره أولا العلم القائم على الملاحظة والتجربة، فحصر فيه كل الحقيقة، وانتهى بفلسفته التي سماها واقعية إلى ما انتهت إليه الفلسفة المادية البحت"[3]، فحصره للحقيقة في الجانب العلمي فقط جعله يقصي العديد من الجوانب المهمة في حياة الفرد.

كما يبدو أنه وقع في التناقض فالبرغم من "أنه تحفظ بالنسبة إلى الغيبيات الثانية في المفاهيم الدينية، فهو لم يثبتها ولم ينكرها، وذلك لأنه لم يجد في الأدلة المادية من العلم القائم على الملاحظة والتجربة ما يقنعه بوجودها فسكت عنها، ولم يعول في أفكاره على شيء منها "[4].

---

[1] الشريف طوطاو، الفلسفة الوضعية وأزمة علوم الإنسان من منظور "روجيه غارودي" نحو أفق فلسفي وإيستومولوجي بديل، مجلة العلوم الاجتماعية،المرجع السابق، ص15–16.

[2] عبد الرحمن بن حسن حنبكة الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1991، ص422.

[3] المرجع نفسه، ص 422.

[4] المرجع نفسه، ص422

كما يظهر تناقضه كذلك في جعله العقل خادما للقلب وهو بهذا يكون قد قلل من شأن الوضعية القائمة على العلم وما يقتضيه من تجربة وملاحظة، وبما أن فلسفته التربوية جزءا من فلسفته الوضعية ككل سيتطبق عليها هذا النقد بما أن الدين والعلم جزء من فكره التربوي.

- توصلنا في هذا المبحث إلى جملة من النتائج فيما يخص الآراء النقدية التي وجهت لكل من ابن خلدون وكونت نلخصها فيما يلي:

–بالرغم من عبقرية ابن خلدون وإنتاجه العلمي الضخم إلا أنه لم يسلم من الإنتقادات فقد وجه له كل من علي أومليل وطه حسين ومحمد عبد الله عنان ومحمد عابد الجابري وكذلك الباروندي سلان مجموعة من الإنتقادات فيما يخص التاريخ وعلم الاجتماع، إذ عمل هؤلاء النقاد على تجريد ابن خلدون من صفة الريادة والتأسيس سواء لعلم التاريخ أو علم الاجتماع.

- كما عمل أغلبهم على اتهامه بالطمع والاستغلال وتتبع مناصب الحكم.

- أما فيما يخص فلسفته التربوية فقد ذهب طه حسين إلى القول بأن ابن خلدون لم يتعمق في نظرياته التربوية، بالرغم مما قدمه ابن خلدون.

- أما أوغست كونت فقد تم انتقاده هو الأخر بالرغم من الأفكار التي قدمها لإصلاح المجتمع، فنجد روجيه غارودي يقدم نقدا لادغا لفلسفة كونت الوضعية وذلك لما تحتويه من سلبيات ونقائص، إذ يرى غارودي أن الفكر الوضعي يسبب أزمة في المجتمع الأوربي وذلك لأن الفلسفة الوضعية في نظره فلسفة مادية مما جعل علوم الإنسان في أزمة .

خلاصة:

من خلال انجازنا لهذا الفصل توصلنا إلى عدة نتائج نذكر أهمها:

- يتفق كل من ابن خلدون وكونت في العديد من المسائل وذلك لتشابه نظرتهما الاجتماعية، فنجد أن كل منهما سعى إلى إصلاح الجانب التربوي بتجاوز الأنظمة التربوية السائدة في عصرهم.

- كما تبين لنا كذلك أن كل منهما ربط التربية بالمجتمع، لما للتربية من دور في إصلاح الأفراد ومن ثم المجتمعات، إذ عمل كلاهما على الاهتمام بالمدرسة وتعليم العلوم وتربية الصغر...الخ.

- كما نجد كذلك تشابه واضح بين المنهج العلمي لكل منهما.

- ونقاط الاتفاق هذه لا تمنع من وجود العديد من الاختلافات بين الفيلسوفين، اعتبارا أن كل منهما عاش في عصر وبيئة مختلفة عن الآخر، مما يجعل من أفكارهما تختلف بشكل أو بآخر.

- توصلنا أنهما يختلفان من حيث الأسباب التي دفعت كل منهما لإنشاء علم الاجتماع وكذا في تقسيمهما لموضوع هذا العلم.

- كما اختلفا في العديد من الأمور التربوية، لعل أهمها أن ابن خلدون لم يهمش تعليم الآداب واعتبرها ذات فائدة، بينما اتجه كونت نحو الاهتمام بالعلوم الأساسية التي افردها في تصنيفه، مهمشا باقي العلوم.

- أما عن الآراء النقدية التي وجهت لهما فكانت عديدة نذكر منها:

- قام كل من علي أمليل وطه حسين ومحمد عبد الله عنان ومحمد عبد الجابري والبارون دي سلان، بنقد ابن خلدون في العديد من جوانب فلسفته خاصة ما يخص علم الاجتماع والتاريخ، إذ نجدهم ينفون نسبة هذه العلوم في تأسيسها لابن خلدون بالرغم مما قدمه في هذه المجالات.

- كما رأى طه حسين أن ابن خلدون لم يتعمق في التربية ولم يدرسها إلا عرضا.

- أما عن كونت فهو الآخر تعرض للنقد من قبل العديد من الفلاسفة والمفكرين، فقد نقدته المدرسة الفينومينولوجية، كما قدم له روجيه غارودي نقدا للعديد من الأمور التي

تخص فلسفته، إذ رأى غارودي أن فلسفته تحتوي على العديد من السلبيات والنقائص، وهذا ما جعله يرى أن هذه الفلسفة سبب أزمة في المجتمع الأوروبي.

خاتمة

خاتمة:

سعينا من خلال انجازنا لهذا البحث للإجابة عن الإشكالية المطروحة بغية الوصول إلى أهم الأسس الفلسفية للتربية التي طرحها كل من ابن خلدون وكونت، والوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف في فلسفتهما التربوية، ونلخص ما ذهبنا إليه في ما يلي:

- يعتبر الفيلسوف وعالم الاجتماع ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع وواضع أسسه ومنهجه، وكان هدفه من تأسيس هذا العلم هو دراسة الظواهر الاجتماعية.
- انطلاقا من كون التربية ظاهرة اجتماعية، قام ابن خلدون بربطها بالمجتمع، إذ جعلها وسيلة لتطور المجتمع ورقيه من خلال تطور فكر وتربية أفراده، وهذا ما يبدوا جليا من خلال حديثه أن ازدهار العلوم وتقدمها مرتبط بازدهار الحضارة.
- ركز ابن خلدون في مجال التربية على تربية الملكات لهذا اعتبر أن تكوين ملكة لدى المتعلم من الأهداف التعليمية التي ينبغي على المعلم أن يحققها.
- عمل ابن خلدون على نقد طرق التربية والتعليم السائدة في عصره، إذ اعتبرها عائقا أمام التحصيل العلمي للمتعلم، ومن بين هذه الأمور ما يلي: الحفظ، الشدة على المتعلم، كثرة المختصرات المؤلفة في العلم واحد، الاقتصار على تعليم القرآن وحده.
- لقد رأى ابن خلدون أن هذه الأمور عائقا أمام تكون الملكة لدى المتعلم وذلك لسلبيتها الكثيرة التي اشرنا إليها في البحث.

حاول ابن خلدون أن يقدم بديلا للأمور التي قام بنقدها، وذلك من خلال طرحه للعديد من القواعد التربوية التي كان من شأنها إصلاح المنظومة التربوية في عصره، وهذه القواعد لا تزال صالحة لحل العديد من المشاكل التعليمية في عصرنا هذا نذكر منها: أن التعليم يكون بالمحسوس أولا، كما أكد على أهمية قانون التدرج في التعليم، وقد أولى أهمية بالغة لتعليم الصغر لما له من دور في تشكيل شخصية المتعلم، ويضيف أنه لا بد من الرحلة في طلب العلم باعتبارها كمالا في التعليم، كما ينهى عن خلط البدايات مع الغايات على المتعلم لأنها إخلال بتعليمه، وكذلك الإطالة في تدريس العلم وتقطيع مجالسه له نفس التأثير السلبي على تحصيل المتعلم.

هذه بالنسبة للقواعد التي طرحها ابن خلدون والتي من خلالها يتم إصلاح الوضع التربوي متى طبقت.

– أما أوغست كونت فقد سعى إلى القضاء على الفوضى الأخلاقية والعقلية السائدة في مجتمعه من خلال تأسيسه لعلم الاجتماع، وفلسفة الوضعية التي هدفت إلى تجاوز الأنظمة السابقة وبلوغ التطور العلمي سواءا من ناحية النظم أو العلوم.

حاول أوغست كونت هو الآخر إصلاح الوضع التربوي بتقديم قواعد كان من شأنها أن تتجاوز أنظمة التربية والتعليم السلبي وتؤسس لتعليم إيجابي يخطو بالمجتمع نحو التقدم.

أسس كونت فلسفته التربوية انطلاقا من حديثه عن أهمية الأسرة وحتى المرأة إذ نجده يؤكد على ضرورة الأسرة لهذا عمل على تحديد شروط تكوينها، وتكمن أهميتها بالنسبة لكونت كونها الخلية الأولى في المجتمع الذي يمثل البناء الاجتماعي.

وبصفة عامة تعتبر الأسرة المركز الأول الذي يتلقى فيه الفرد تربيته وتعليمه بتلقيه القيم والمبادئ الأساسية التي ستبنى عليها شخصيته، وتعليم هذه الأمور يرجع بالدرجة الأولى إلى المرأة في نظر كونت باعتبارها المدرسة الأولى للأبناء، لهذا يرى كونت أنه لابدّ أن يوجه التعليم الوضعي إلى المرأة قبل كل شيء لما لها من دور راجع في حكم القلب، لأن هذا الأخير مسؤول بدرجة كبيرة على صلاح الجانب الأخلاقي.

تكمن أهمية التربية الأخلاقية في صلاح الفرد وعليه سيصلح المجتمع، لأن الأخلاق في نظر كونت لا بد أن تتجه نحو الغيرية، وإن اتجهت كذلك سيسود الاحترام بين أفراد المجتمع ومن ثم يتحقق الانسجام فيه، لأن كونت يرى أنه متى توفرت هذه الأمور سيتم القضاء على الفوضى العقلية والأخلاقية السائدة في المجتمع مما يؤدي إلى توجيه المجتمع نحو التقدم الذي بلغته الإنسانية في المرحلة الوضعية أما عن التربية العلمية التي أقامها كونت على أساس تعليم العلوم ويخص بالذكر العلوم الأساسية التي قام بتصنيفها أراد من خلالها أن يطور العقل الإنساني وذكائه بصفة عامة، حتى يتمكن الإنسان من إيجاد القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية، بدلا من إرجاعها إلى قوى خفية غير مرئية.

فأوغست كونت هنا أراد أن يبني الإنسان معارفه على أساس الواقع من خلال الملاحظة والتجربة، ويبتعد عن التخمين والمعارف السابقة والخيال، ووصول الإنسان إلى

هذه المرحلة يعني بلوغه المرحلة الوضعية سيمكنه من مواكبة التطور العلمي الحاصل، فالتربية الوضعية حاولت إن تجدد عقل الإنسان حتى تكسبه من الوعي ما يكفيه بالتأقلم مع محيطه الاجتماعي.

أقام كونت تصنيفه للعلوم على نحو تنازلي حسب درجة تعميمها وصعودا حسب درجة تعقيدها، وتصنفيه هذا إنما يخضع لقانون الحالات الثلاث الذي يبرر التقدم الإنساني الذي تصل إليه الإنسانية من خلال مرورها بالمرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية، والهدف من تصنيف العلوم على أساس هذا القانون كان من اجل أن يبين لنا أن الإنسان بحاجة للتقدم والتطور من خلال تلقيه العلوم والتربية بصفة عامة.

أولى أوغست كونت أهمية بالغة للتعليم، لذا يرى أنه حق طبيعي للجميع ولا بد على الدولة أن توفر لأولئك الذين لا يستطيعون دفع تكاليفه حتى يتسنى للجميع تلقي المعرفة ولو باطلاعهم على العلوم بصفة عامة، ورؤيته هذه انبثقت من رغبته في التأسيس للتربية العامة يخضع لها جميع أفراد المجتمع حتى يصلح بناء هذا الأخير، فحسبه أن رقي المجتمع وتقدمه ينبغي أن ينطلق من تربية وتعليم الشعب.

ويضيف أنه لا بد من تلقي المتعلم تعليم متكامل، بمعنى انه لا بد عن المتعلم أن ينهل من شتى المعارف والعلوم، ويركز كونت هنا على العلوم الأساسية التي أدرجها بتصنيفه، وحسب كونت أن الذين لا يطلعون على بقية العلوم بالإضافة إلى تخصصهم قد خرقوا شرط من شروط تطورهم الفكري.

- وهكذا يتبين لنا أن التربية عند أوغست كونت ركزت على الجانب العلمي دون أن تنسى الجانب الأخلاقي الذي يتكون لدى الفرد في الأسرة أولا، لان التربية الأخلاقية تساعد الفرد على التأقلم مع محيطه الاجتماعي حتى يسود النظام في المجتمع، ويعتبر الهدف الأسمى من التربية ككل عند كونت هو تحقيق التقدم الإجتماعي من خلال تطوير الجانب العلمي والأخلاقي لدى الفرد.

- أما عن نقاط الاتفاق والاختلاف بين كل من ابن خلدون وكونت والآراء النقدية التي وجهت لهما نلخصها في ما يلي:

- لقد اتفق كل من ابن خلدون وكونت في العديد من المسائل من بينها: التشابه في المنهج العلمي، إضافة أن كلاهما أسس علم الاجتماع لدراسة الظواهر الاجتماعية، وكلاهما نظر إلى التربية نظرة إصلاحية، إذ عمل كل منهما على تجاوز الأنظمة التربوية السائدة في عصرهم وتقديم بديل جديد يحل محل تلك الأنظمة.

- وفي الجانب التربوي دائما نادى كل من ابن خلدون وكونت بضرورة الاهتمام بتعليم مختلف العلوم وان يكون هذا التعليم شاملا، حتى يساهم في تطوير الجانب الفكري للفرد.

- وبالرغم من اتفاقهم في العديد من الأمور فقد اختلافا في أمور أخرى ناتجة بالدرجة الأولى أن المرجعية الدينية لكل منهما، وكذا الاختلاف في بيئة وعصر كل من ابن خلدون وكونت، فهذه الأمور تأثر على فكر الفيلسوف وتوجهه.

- كما نجد أنهما اختلفا في الأسباب التي دفعت كل منهما في تأسيس علم الاجتماع، وحتى في تقسيمهما لموضوع هذا العلم.

- أما من الناحية التعليمية فيظهر الاختلاف بينهما من ناحية أن ابن خلدون أعطى أهمية لتعليم الآداب لما لها من دور وفائدة في تشكيل معارف الفرد.

- بينما نجد كونت أولى اهتمام كبيرا لتعليم العلوم الأساسية التي أوردها في تصنيفه مهمشا باقي العلوم، وبالرغم من طرحهما الإصلاحي في الجانب التربوي إلى أنهما تعرضا للنقد، ومن بين أهم الانتقادات التي وجهت لهما نذكر باختصار.

- لقد قام كل من علي أومليل وطه حسين ومحمد عبد الله عنان ومحمد عابد الجابري والبارون دي سلان وغيرهم من النقاد بتجريد ابن خلدون من ريادته لكل من علم الاجتماع والتاريخ، كما قام هؤلاء باتهام العلامة ابن خلدون بالعديد من الاتهامات المتمثلة في الطمع

والاستغلال وغيرها من الصفات الوضيعة، كما قام طه حسين بنقد الجانب التربوي عند ابن خلدون واعتبر أن هذا الأخير لم يتعمق في التربية ولم يتطرق لها إلا عرضا.

- أما أوغست كونت فأهم نقد وجه له كان من قبل روجيه غارودي، إذ أن هذا الأخير رأى أن الفلسفة الوضعية قد سببت أزمة في علوم الإنسان وأزمة في المجتمع الأوروبي ككل.

وفي الأخير نجد أن ابن خلدون في تأسيسه للتربية بالرغم من إنطلاقه من تجاوز الأنظمة السابقة في مجالي التربية والتعليم، قد أولى أهمية كبيرة للمجال الأخلاقي، اعتبارا أن الأخلاق هي المنطلق الأول الذي به تستقيم تربية الأفراد.

إضافة إلى أن مرجعية ابن خلدون الدينية هي ما حددت الاختلاف الأهم بين التربية عنده وعند كونت.

قائمة

المصادر والمراجع

➢**قائمة المصادر بالعربية:**

1.عبد الرحمن بن خلدون، مقدمه ابن خلدون،راجعه وقدم له عبد الباري محمد الطاهر تح: أحمد جاد، دار الغد الجديد القاهرة، ط01، 2007م.

➢ **قائمة المصادر بالأجنبية:**

1. AUGEUSTE Comte ،DISCOURS SUR L'esprit positif، société positif internationale، paris، 1923.
2. Auguste comte، cœurs de philosophie positive، philosophie, SD.

➢ **قائمة المراجع:**

1.أبو حسن علي القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين دراسة وتحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية، تونس، ط1، 1996.

2.أبي حامد الغزالي، أيها الولد، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط04، 2010م.

3.إحسان محمد الحسن، مبادئ علم الاجتماع الحديث، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن ط2، 2009م.

4.إدريس، خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2003.

5.أسماء عبد المطلب بني يونس، دليل المبتدئ إلى المناهج العامة في البحث العلمي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن عمان، ط01، 2018.

6.ايمانويل كانط، في التربية وإجابة عن السؤال: ما التنوير؟ تر: جوزيف معلوف، دار الرافدين، العراق، ط1، 2022.

7.بيار ماشيري، كونت الفلسفة والعلوم، تر: سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1994.

8.جلال غربول السناد، علم الاجتماع التربوي، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، الأردن ط1، 2015.

9.حسن شحاتة، تقديم حامد عمار، التعليم دعوة للحوار في الوطن العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006.

10. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، التربية والمجتمع" دراسة في علم الاجتماع التربية" مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دط، 2010.

11. رشدي أحمد طعيمه وآخرون، المنهج المدرسي المعاصر (أسسه، بناؤه، تنظيماته تطوره)، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان–الأردن، ط1، 2008.

12. سعيد إسماعيل علي، أصول التربية العامة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان، ط2، 2010.

13. صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع في عالم متغير، دار الفكر العربي، القاهرة ط:1، 1996.

14. طه حسبن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحليل ونقد، تر: محمد عبد الله عنان، القاهرة دت.

15. عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط1، 1991.

16. عبد الحليم عويس، التاصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1991.

17. عبد الرخمن بن حسن حنبكة الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1991.

18. عبد الطيف بن حسين فرح، التدريس الفعال، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان،الأردن ط1، 2009.

19. عبد الكريم علي اليماني، فلسفه التربية، دار الشروق لنشر والتوزيع الأردن، ط1 ،2004.

20. علي أمليل، الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، دار التوزيع للطباعة والنشر، لبنان، ط3، 1985.

21. فاروق عبد المعطي، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الحديث، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1993.

22. فراس عباس الليباتي، علم الاجتماع دراسة تحليلية للنشأة والتطور، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط01 2012.
23. ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، تر: محمود قاسم- محمود بدوي، مكتبة الانجلو مصرية،، دط، د. ت. مصر.
24. ماكس فيبر، الأسس العقلانية والسيسيولوجية للموسيقى، تر: حسن صقر، المنظمة العربية للترجمة توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط01، 2013.
25. محسن علي عطية، أسس التربية الحديثة ونظم التعليم، دار المناهج للنشر والتوزيع الأردن- عمان، ط01، 2010.
26. محمد حامد خضر، المدخل إلى علم الاجتماع، دار البداية ناشرون وموزعون، الأردن ط01، 2012.
27. محمد وقيري، ما هي الابستمولوجية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ط2، دت.
28. ناصر أحمد الخولدة- رسمي عبد الملك رستم، الأسرة وتربية الطفل، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، ط1، 2010.
29. نذير زريبي، الوجيز في علم الاجتماع (نظريات اجتماعية)، منشورات ليجوند، د ب، د ط، 2013م.

- **المعاجم والموسوعات:**

1. ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ط1، د ت.
2. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، مج1 تع: أحمد خليل أحمد، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان، ط 2008، 2008.
3. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د ط 1982.
4. طوني بينيت وآخرون، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت ط01، 2010.

5. عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3 2000م.

6. فاروق عبده فليه –احمد عبد الفتاح زكي– معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر مصر، د ط، 2004م .

7. مصطفى حسيبه، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن– عمان، ط01 2009.

➢ **المجلات والمقالات:**

1. بلعز كريمة، الوضعية المنطقية والعلم المعاصر: وضعية أوغست كونت، مجلة لوغوس جامعة وهران، العدد02، 2014.

2. بوغالم جمال، إشكالية تصنيف العلوم بين التقليد الفلسفي والتأسيس العلمي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج15، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر، العدد01 2023.

3. بوغالم جمال، إشكالية تصنيف العلوم بين التقليد الفلسفي والتأسيس العلمي، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج15، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر، العدد01 2023.

4. بومانة محمد، الملكة العلمية عند ابن خلدون، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، قسم علم النفس والفلسفة، جامعة الجلفة، العدد 06، د.ت.

5. حسام الدين فياض، أوغست كونت مؤسس علم الاجتماع الوضعي"انك تدرس لكي تضبط"، مجلة الثقافة الجديدة، قسم علم الاجتماع –كلية الآداب – جامعة ماردين أرتوغلو– حلب سابقا، العدد 419–420، 2021.

6. حسام الدين فياض، أوغست كونت، مؤسس علم الاجتماع الوضعي "انك تدرس لكي تضبط"، مجلة الثقافة الجديدة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب– جامعة ماردين ارتوقلو – حلب سابقا، العدد419–420، 2021.

7. حورية جميلة تيقرين، آراء ابن خلدون التربوية ودرجة إقناعها مع التربية الحديثة، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر) مج05، العدد01، 2022.

8. سعودي أحمد قيمة الفكر الخلدوني بين مؤيديه وخصومة (دراسة نماذج)، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف، الجزائر، العدد 02، 2021.

9. الشريف طوطاو، الفلسفة الوضعية وأزمة علوم الإنسان من منظور "روجي غارودي" نحو أفق فلسفي وابستمولوجي بديل، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة خنشلة، مج6 العدد28، 2018.

10. فاطمة المومني، الأخلاق الاجتماعية عند أوغست كونت، مجلة الدراسات الأكاديمية المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية، قفصة تونس، العدد4، 2021.

- **المذكرات والأطروحات:**

1. عائشة علي روزي الخوتاني، الأخلاق عند المدرسة الوضعية أوغست كونت ومدرسته دراسة نقدية على ضوء الإسلام، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوى وأصول الدين، قسم العقيدة، إشراف برهكات دويرار، 1991.

2. عباس عمر الحسن، الفلسفة الاجتماعية بين ابن خلدون أوغست كونت، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، إشراف صبري محمد خليل، 2008.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

كلمة شكر

إهداء

مقدمة:.....أ

الفصل الأول:

مدخل تمهيدي

المبحث الأول: ضبط المفاهيم 10

المبحث الثاني: ابن خلدون وفلسفته.....18

المبحث الثالث: أوغست كونت وفلسفته. 31

خلاصة: 41

الفصل الثاني:

فلسفة التربية عند ابن خلدون

المبحث الأول: الملكة التربوية عند ابن خلدون. 44

المبحث الثاني: أنواع العقول عند ابن خلدون:.....50

المبحث الثاني: ابن خلدون ونقده لطرق التربية والتعليم السائدة في عصره.....55

الفصل الثالث:

فلسفة التربية عند أوغست كونت

المبحث الأول: تصنيف العلوم عند أوغست كونت. 76

المبحث الثاني: الأسس الفلسفية للتربية عند أوغست كونت:.....82

المبحث الثالث: التربية الديناميكية عند أوغست كونت:.....91

الفصل الرابع:

فلسفة التربية بين ابن خلدونوأوغست كونت

المبحث الأول: أوجه التشابه 100

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف 106

المبحث الثالث: أراء نقدية 109

خاتمة:.....124

قائمة المصادر والمراجع: 131

فهرس المحتويات 135

فهرس الأعلام: 138

قائمة المصطلحات 140

قائمة المختصرات 140

فهرس الأعلام:

الشخصية	الصفحة
ابن خلدون	ب-ج-د-ز-و-ء-هـ-9-13-18-20-21-22-23-24-28-29-36-40-42-44-45-43-46-47-48-49-50-51-52-53-54-55-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-99-102-103-104-105-106-107-108-110-111-112-113-114-115-116-112-122-125-126-128-129-
أوغست كونت	ب- ج-د-هـ-9-10-15-30-31-32-36-37-38-39-40-75-76-77-79-88-90-91-93-94-99-101-102-103-106-107-108-110-113-119-121-126-127-129-135
ابن الحاجب	56
ابن مالك	56
الخونجي	56
محمد عبد الله عنان	114-122-128
طه حسين	112-121-128-129
علي أمليل	122
محمد عابد الجابري	114-121
البارون دي سلان	115-116-122-128
روجيه غارودي	117-121-122-129
أبي حامد الغزالي	11
إيمان ويل كانط	11-44
دوركايم	15-115

ماكس فيبر	15-16
جون ستيوارتميل	33
سان سيمون	22
ابن الهيثم	21
الخوارزمي	21
البيروني	21
تيرجو	32
كوندرسيه	32
بيردان	32
محمد بن أبي زيد	62
أوفيد دكرولي	66
كوبرنيكوس	79
نيوتن	79-88
لافوازييه	79
روبرت هوك	79
داروين	79
ابن سينا	21
محمد بن سحنون	62
القابسي	62
غاليلو	79

قائمة المصطلحات

Education	التربية/التعليم
Philosophie de l’éducation	فلسفة التربية
Faculté	الملكة
Positivisme	الوضعية
Méthode	المنهج
Méthode Scientifique	المنهج العلمي
Classement des Sciences	تصنيف العلوم
Sociologie	علم الاجتماع
Statique	الإستاتيكا
Dynamique	الديناميكا

قائمة المختصرات

تر	ترجمة
تع	تعريب
تح	تحقيق
د.ط	دون طبعة
ط	طبعة
مج	مجلد
د.ت	دون تاريخ نشر
د.ب	دون بلد

جامعة ابن خلدون – تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم النفس والأرطوفونيا والفلسفة

تصريح شـرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(ملحق القرار الوزاري رقم 1082 المؤرخ في 2020/12/27 المتعلق بالوقاية ومحاربة السرقة العلمية)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة) عقيبي كريمة.....

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 2999535 والصادرة بتاريخ: 2024/01/21

المسجّل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: علم النفس والأرطوفونيا والفلسفة

و المكلف بإنجاز أعمال بحث مذكرة التخرج ماستر عنوانها :

فلسفة التربية بين ابن خلدون وأوغست كونت
دراسة نقدية في الأسس الفلسفية للتربية

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ .....

إمضاء المعني

محي الدين منصور
عون ادارة إقليمي

12 ماي 2024